زيتونة

((أثر الإلكترون))

د. غفار محمد

زيتونة ...

الإهداء

إلى كل باحث عن الحقيقة في هذه الحياة ..

زيتونة ...

محتوى الكتاب :

- الزيتونة (لا شرقية و لا غربية)
- العالم الآخر (الأكوان الموازية)
- من قبل الكون (حيّ بن يقظان)
- SOS (في البدء كانت البيضة)
- ميتافيرس الروح (نم لقد ولدت ، استيقظ لقد متّ)
- المتوالية الهندسية (أنا و الساعة كهاتين)
- الشفرة الكونية (النسبة الإلهية فاي)
- الكون 25 (الإشباع و بداية الضياع)
- الصيام الفكري (لا قيمة لشيء في متناول اليد)
- أثر الإلكترون (و اطمأنّ قلبي)
- نجوم على الأرض (السديم و التراب)
- GPS الحياة (متطابقة أويلر)

زيتونة ...

الزيتونة

(لا شرقية ولا غربية)

= يا لروعة مدينة أثينا !! كنت محقاً في اختيارها كوجهة سياحية ..

= ألم أقل لك حبيبتي ؟ تعالي نطعم الحمام بأيدينا ..

= هيا بنا .. إن منظر الحمائم في السماء و حول النوافير مثير للبهجة و الراحة النفسية .. أشعر بسلام عارم في داخلي ..

= بلا شك ، لم تتخذ الحمامة رمزاً للسلام عن عبث..

= بالمناسبة ، لماذا تحمل حمامة السلام غصن زيتون في منقارها ؟

= وفقاً لمعلوماتي المتواضعة فهذا يعود إلى قصة طوفان النبي نوح ..

= و ما علاقة الطوفان بذلك ؟!

= تقول الكتب الدينية أنّ النبي نوح بعد رسو سفينته على **جبل الجودي** في **تركيا** كما يعتقد ، كان يرسل حمامة من نافذة السفينة كل يوم لمعرفة ما إذا كان الطوفان قد توقف في الأرض .. و في إحدى المرات بقي النبي نوح ينتظر عودة الحمامة **7** أيام ، حتى عادت أخيراً و هي تمسك غصناً من شجرة الزيتون في منقارها و يعتقد أنها جلبت الغصن من **قرية بشعله** في **لبنان** .. و عندها عرف النبي نوح أن المطر توقف و الطوفان انتهى و بالتالي جفت الأرض .. و منذ ذلك الحين و حتى يومنا هذا يعتبر شعار الحمامة مع غصن من شجرة الزيتون في منقارها رمزاً للأمل والسلام في جميع الكتب السماوية و المعاهدات..

= معلومة غريبة و مذهلة !!

= المذهل أكثر أنّ أكبر شجرة زيتون معمرة على الأرض توجد في قرية بشعلة اللبنانية المذكورة في حكاية النبي نوح ..

= حقاً ؟!

= أجل .. و يطلق عليها **شجرات زيتون نوح أو الشجرات الأخوات** و هي عبارة عن **16** شجرة زيتون يقدر عمر اثنتين منها بحوالي **6000** إلى **7000** سنة ..

= مذهل !!

= بلى .. و يقال أنّ اسم قرية بشعلة مشتق من اللغة السامية – العربية و يعني (**شعلة النار**) و يقول البعض الآخر أن أصل الاسم آراميّ سريانيّ و هو

شعلو الذي يعني (**المكان الرفيع العالي العظيم**) و البعض الآخر يرده إلى أصل كنعانيّ أو عبريّ و يعني (**بيت الإلٰه**) ..

= لكن لماذا حملت الحمامة غصن زيتون دون سواه ؟!

= لأن شجرة الزيتون شجرة مقدسة و مباركة ..

= و لماذا هي كذلك ؟

= تعالي لأحدثك أكثر عن شجرة السماء العظيمة يا حبيبتي ..

*****

ينظر كثير من البشر إلى الزيتون كأحد أنواع الأشجار المثمرة لا أكثر .. ويعتبرون تقديس البعض لها مبالغة عاطفية و دينية .. فهل وجهة النظر هذه صحيحة ؟ أم أنها مجرد مغالطة جديدة تنضم كشجرة جديدة إلى بستان مغالطاتنا .. إنّ الجواب الوجيز و المبدئي كعادتنا هو على الشكل التالي :

(الزيتونة ليست كأي شجرة.. إنها شجرة السماء المباركة ، المفعمة بالخير و العطاء و رمز الثبات و القوة و الرسوخ في الأرض .. فليس غريباً بعد ذلك كله أن تكون رمز السلام و الحكمة حول

العالم)

لماذا شجرة الزيتون كذلك .. تعال عزيزي القارئ نوضح جوابنا بشكل أعمق و أدق عبر مقاربة مغالطتنا من **5** زوايا شيقة وهامة :

① **جذور شجرة الزيتون ..**

② **شجرة الزيتون في عيون التاريخ ..**

③ **شجرة الزيتون في الأديان ..**

④ **حقائق غريبة عن شجرة الزيتون ..**

⑤ **فوائد الزيتون و زيته للإنسان ..**

فهيا بنا نقطف ثمار مغالطتنا و نعتصر خلاصة زواياها كزيت مقدّس يضيء حقيقةً من تلقاء ذاته ..

❁ جذور شجرة الزيتون :

في الحقيقة إنّ أصل شجرة الزيتون و مصدرها الأول غير معروف بدقة .. لكن عُثر في إفريقيا على متحجرات لأوراق الزيتون تعود إلى العصر الحجري القديم (**35** ألف سنة قبل الميلاد).. كما وجدت شجرة الزيتون بالسواحل الأطلسية للمغرب خلال معظم العصر الجليدي الأخير منذ نحو **100** ألف سنة ..

ويعتقد بأنّ تاريخ هذه الشجرة كاستئناس بشري زراعي

يعود إلى ما بين **5000** و **6000** سنة و بالتحديد في سوريا و فلسطين و جزيرة كريت .. أما في إسبانيا فأقدم شجرة زيتون عثر عليها تعود لحوالي **5000** سنة في مدينة **ألميريا** ..

وفي دراسة مستفيضة قام بها العالم **دانييل زوهاري** ، رجّح بأن أصل الزيتون يعود إلى منطقة **شرق البحر الأبيض المتوسط** وخاصة المنطقة الواقعة بين **أضنة** في تركيا و **إدلب** شمال غرب سوريا التي تعد الموطن الأول لشجرة الزيتون ، إضافةً إلى سلسلة الجبال الساحلية السورية و اللبنانية وصولاً إلى منطقة جبال **نابلس** في فلسطين جنوباً ، و انتقل الزيتون بعدها من بلاد الشام إلى **المغرب العربي** و منه إلى **إسبانيا** و **البرتغال** و **جنوب فرنسا** ..

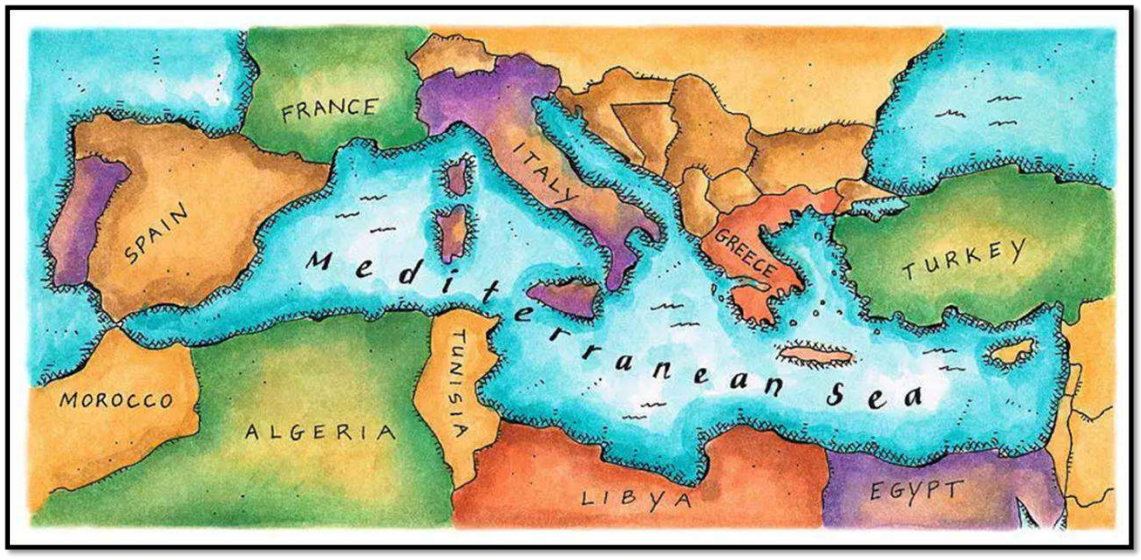

ثم انتشر بعدها إلى العالم الجديد بفضل الإسبان .. حيث ازدهرت زراعته في **البيرو** و **تشيلي** اللتين

يشابه مناخهما الساحلي مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط ، كما قام المستعمرون الإسبان بإدخال شجرة الزيتون في القرن **18** إلى ولاية **كاليفورنيا** الأمريكية .. حيث زرعتها أول مرة بعثةُ **سان دييغو دي الكالا** و بعد ذلك أصبحت زراعة شجرة الزيتون مشروعاً تجارياً ناجحاً هناك ..

أما في اليابان فإن أول زراعة ناجحة لأشجار الزيتون

حدثت مطلع القرن **20** في **جزيرة شودو** التي أصبحت مهداً لزراعة الزيتون في البلاد ..

❁ شجرة الزيتون في عيون التاريخ :

◉ مملكة إيبلا السورية :

تقع آثار هذه المملكة الأكادية قرب مدينة حلب وقد

عثر فيها على أقدم الدلائل المكتوبة حول شجرة الزيتون من رقم ومخطوطات، حيث حملت بعض ألواح إيبلا المكتشفة في مكتبتها توثيقاً رسمياً حول أشجار الزيتون و إنتاج الزيت، و أوضحت هذه الألواح أنّ صناعة زيت الزيتون كانت في مقدمة النشاط الاقتصادي للسكان ..

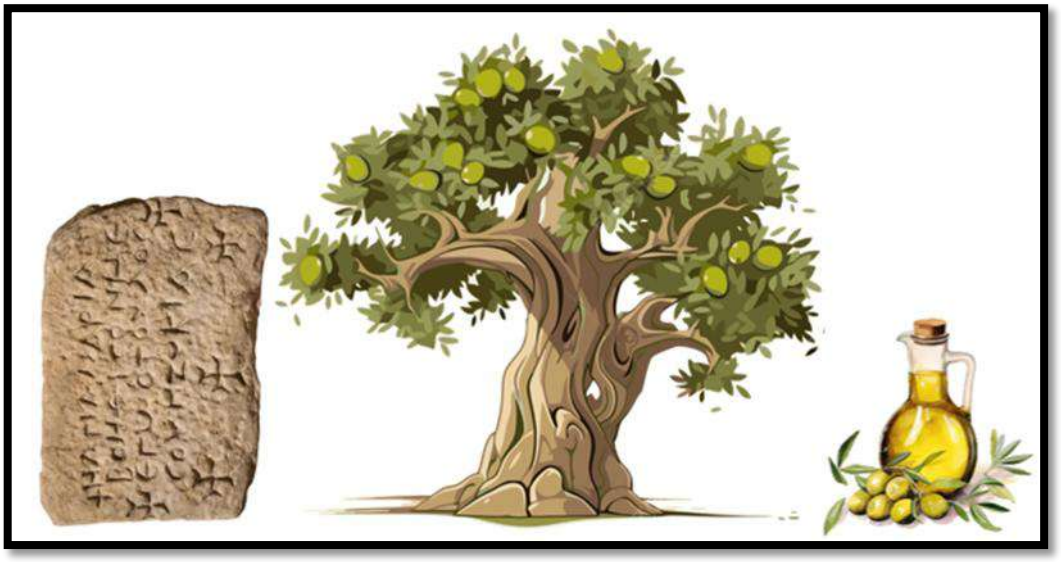

◉ عند الإغريق :

تعتبر شجرة الزيتون في الثقافة الإغريقية رمزاً للحكمة ، حيث كانت إلى جانب طائر البوم ترمز للآلهة أثينا، و تروي الميثولوجيا اليونانية أن أثينا قدمت للبشر شجرة الزيتون كهبة يستفيدون من ثمارها و زيتها و حطبها ، كما أن **آلهة السلام** الإغريقية **أيرينا** ابنة زيوس تصوّر دوماً وهي تحمل غصن الزيتون ، و في عهد الإغريق تم تقديم زيت الزيتون كهدية للملوك ولأبطال الرياضة، كما جرت العادة على وضع تيجان من أغصان شجر

الزيتون المقدس الذي زرعه **هرقل** في **أوليمبيا** على رؤوس الملوك و الأبطال المنتصرين ..

◉ عند الأوغاريتيين و الكنعانيين :

ذُكر في الأساطير أن أكثر ما كان يخشاه الكنعانيون هو انعدام خصوبة أراضيهم و توقف المطر و بالتالي خسارة المحاصيل خلال الموسم .. لا سيما محصول الزيتون المقدس لديهم .. لذا كانوا ينشدون للآلهة و يتضرعون لها كي تهبهم محاصيل وفيرة منه ..

◉ عند الفينيقيين :

يعتقد أن الفينيقيين نقلوا زراعة شجر الزيتون إلى البلاد التي وصلوا إليها عند سيطرتهم على حوض البحر الأبيض المتوسط في أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد.. ولم يكن تأثير الفينيقيين ملحوظاً في بادئ الأمر، لكن في أواخر القرن **8** قبل الميلاد ازدهرت حضارتهم ازدهاراً عظيماً بما في ذلك زراعة شجر الزيتون في المناطق ذات المناخ الملائم و تطورت طرق استخراج الزيت منه أيضاً ..

◉ عند الفراعنة :

تؤكد البرديات الفرعونية والآثار التاريخية و الموميات ، أن المصريين القدماء استخدموا الزيوت في الكثير من نواحي الحياة ، و يعتقد بأن زيت الزيتون كان إحداها ، أما زراعته فيعتقد أنها بدأت قبل نحو **4000** سنة خلال حكم الأسرة **18** ، خصوصاً فوق الشريط الساحلي الممتد من **الإسكندرية** حتى **الفيوم** .. وكان زيت الزيتون مستعملا خلال الفترة الفرعونية لإضاءة المعابد .. و الحضارة الفرعونية هي أولى الحضارات التي استخرجت الزيوت بآليات ميكانيكية طبيعية و هي نفس الطرق المستعملة حالياً تقريباً.. كما كان من المعتاد لدى كبار الشخصيات الغطس في حمام من زيت

الزيتون المعطر، و كانت توضع أكاليل من أغصان شجر الزيتون على رؤوس المومياوات **كتاج العدل** الموضوع على رأس **توت عنخ آمون** ..

❁ شجرة الزيتون في الأديان :

① في اليهودية :

جسدت شجرة الزيتون الأمل عند اليهود، فورد في العهد القديم و العهد الجديد حكاية عودة الحمامة إلى فلك نوح لتخبره بانتهاء الطوفان .. و قد جاء ذكر ذلك في

التوراة على النحو التالي :

(إنّ حمامةً تركت سفينة نوح ثم عادت تحمل في فمها غصن زيتون)

كما ذكر في التوراة أيضاً :

(إنّ الأشجار عندما أرادت أن تنتخب ملكا عليها اختارت شجرة الزيتون، لكنها رفضت قائلة: لن أترك زيتي الذي باركه الرب من أجل أن أحكم الأشجار !)

و في **سفر الخروج** يعطي الله أوامره لموسى قائلاً له:

(اؤمر بني إسرائيل بأن يقدموا إليك زيت زيتون لإشعال السراج على الدوام)

وقال النبي **موسى** عن شجرة الزيتون:

(لا تقطفوا شجرة الزيتون حتى آخر حبة، بل اتركوا عليها بعض ثمارها ليأكل منها الناس و الطيور و الحيوانات البرية)

كما ذكر في المزامير دلالات تتعلق بالزيت والزيتون،

حيث كانت وفرة الزيت دلالة على الرخاء والازدهار، كما كان نقص الزيت يدل علي القحط والجوع ، ويوصف الزيت بأنه **دهن الفرح** ، أو **دهن الابتهاج** ، ويتنبأ **حزقيال** بأن **الأنهار ستجري كالزيت**، أي تصير بطيئة الجريان لقلة ما بها من مياه ، و بأنّ **كلمات الغش والخداع هي ألين من الزيت** ، وتصبح **اللعنة عند الشرير كسريان الزيت في العظام** ، والإسراف في استعمال الزيت دليل علي التبذير ، بينما اختزانه من صفات الحكيم ، وكان الزيت يصدّر من فلسطين إلى مصر بناءً على اتفاق معها ..

كما ذكر في **سفر زكريا** من الكتاب المقدس أن جبل الزيتون والمسمى آنذاك **طور زيتا** هو المكان الذي سوف يبدأ الله منه بإقامة الموتى في نهاية الأيام .. ولذلك، فإن اليهود طالما طلبوا أن يدفنوا هناك في أعالي الجبل من أيام التوراة و إلى يومنا هذا ..

② في المسيحية :

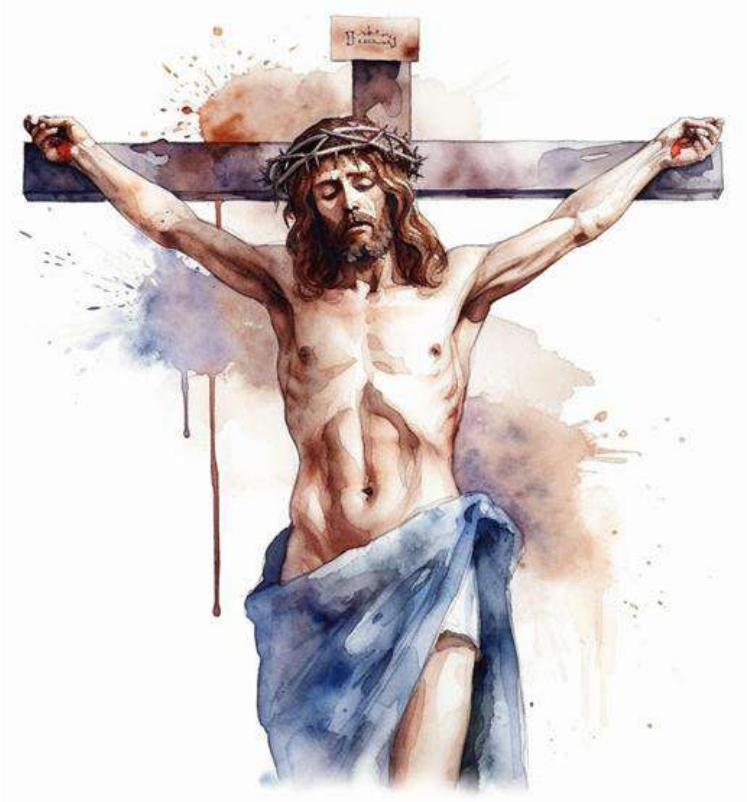

لقد ذكرت شجرة الزيتون عدة مرات في الإنجيل ، من قبيل :

(إنه لابد لشجرة الزيتون أن تُطعم و إلا أعطت ثماراً صغيرة رديئة)

كما أنّ إحدى تفسيرات اسم المسيح أنه : (**الممسوح المجيد بالزيت** كاهناً أعظم و نبياً أسمى وملكا أكمل، لأنه يحب البرّ و يبغض النفاق) ..

و في المسيحية مصطلح شهير هو **المسحة المقدسة** حيث كان الأنبياء قديماً يمسحون الكهنة والملوك

والأنبياء بزيت الزيتون كي يحلّ عليهم روح الرب..

و الزيتونة في المسيحية ترمز إلى **الكنيسة** من حيث أنها مملوءة بهذا الزيت و تعطيه للناس .. فيقول **بولس** الرسول عن **كنيسة العهد القديم** أنها الزيتونة الأصلية، **و كنيسة العهد الجديد** بأنها زيتونة برية ..

② **في الإسلام** :

ذكرت شجرة الزيتون في **6** مرات صريحة و مرة بالإشارة في النص القرآني، ووردت أحاديث نبوية عديدة تمتدح الزيتون ..

و لعلّ أبرز آية ذكر فيها الزيتون و أغربها هي الآية التي وصفت النور الإلهي في سورة النور :

(الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكاة

فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها

كوكب دري ّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء)

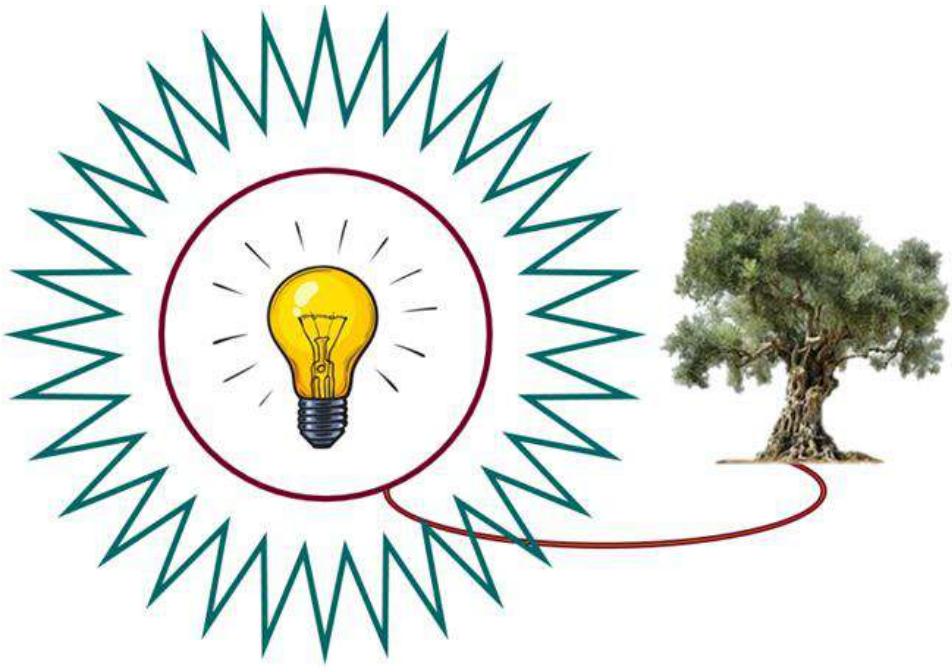

و لا يزال البشر حول العالم يحاولون معرفة سرّ ذلك النور الثاني غير النور الإلهي الذي ذكره البارئ في آيته و جسده بشجرة الزيتون المقدسة و المباركة !!

❁ معلومات غريبة عن شجرة الزيتون :

◉ **الجفت** هو بقايا الزيتون بعد عصره واستخراج زيت الزيتون منه.. و يقوم الناس بتجفيف ذلك المستخلص من البقايا واستخدامه بدلا من الفحم أو الحطب في المدفئة ، تماماً كما يستخدم الفحم ، و في الواقع الجفت أفضل من الفحم الأسود بكثير لأنه

مستخلص طبيعي لا يضرّ ..

◉ **الزيتونة في تفسير الأحلام** : جاء في **كتاب تفسير الأحلام الشهير لابن سيرين** أنّ من رأى الزيتون في منامه فإنه رجل مبارك نافع لأهله إن كان الحالم ذكراً أو امرأة شريفة إن كان الحالم أنثى أو ولادة شخص هام إن كانت حاملاً ، كما أن شجرة الزيتون في الحلم تدلّ على الرزق السهل القادم و النعيم المرتقب مع السرور التام ..

◉ **الزيتون في الأمثال الشعبية** : ذكر الزيتون و زيته كثيراً في الأمثال الشعبية من قبيل :

- **لا أحد يقول عن زيته عكر ..**
- **شجرة الزيتون كما أنت تريد منها هي تريد منك ..**

- **أخضر الزيتون ولا يابس الحطب ..**
- **سيل الزيتون من سيل كانون ..**
- **متعب كقطاف الزيتون و رصّه ..**

◉ ترمز أغصان شجرة الزيتون للسلام العالمي وقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً مع الحمامة التي دائماً ما كانت تحمل غصن زيتون في منقارها للدلالة على الرغبة بالسلام ، كما أن الكثير من الرموز والأعلام العالمية تحاط بغصني زيتون متقاطعين من الأسفل كعلم الأمم المتحدة و علم جامعة الدول العربية و علم المكسيك و بيليز و أريتريا و غيرها ..

◉ يقدّر عدد أشجار الزيتون في العالم بقرابة المليار شجرة ، والغالبية العظمى من هذه الأشجار موجودة في بلدان البحر الأبيض المتوسط ..

◉ أكبر منتج للزيتون في العالم هي **إسبانيا** ثم **إيطاليا** ثم **اليونان** .. كما توجد **سوريا** و **تونس** في قائمة العشرة الأوائل ..

◉ الزيتون يستخدم كاسم علم مذكر و مؤنث في كثير

من اللغات و لعلّ أشهر اسم فيها هو أوليفر **OLIVER** المشتق من كلمة زيتون باللغة الإنجليزية **OLIVE**

◉ من أشهر المعالم العالمية المرتبطة بالزيتون هو جامع الزيتونة في تونس و جبل الزيتون في القدس ، و زيتونة **القديس الامازيغي أوغسطين** في **سوق أهراس الجزائري** ، و يشاع عن هذه الزيتونة أن القديس أوغسطين كان يتعبد الله و يدرس في فيئها في القرن **4** ميلادي ..

◉ اليوم العالمي لشجرة الزيتون هو **11/26** تشرين الثاني / نوفمبر من كل عام ..

◉ أشهر شخصية تلفزيونية حملت اسم زيتونة هي زوجة رجل البحار **باباي** و مغامراته المثيرة ..

◉ إضافةً إلى استخدام الزيتون و زيته في الطعام فقد شاع استخدامه كرمز للمشروبات الروحية ، حيث توضع حبة زيتون مغروزة بعود فيها ..

❁ فوائد الزيتون و زيته للإنسان :

للزيتون قائمة طويلة للغاية من الفوائد لصحة الإنسان ، نذكر أشهرها :

① الحفاظ على صحة القلب و الشرايين :

و ذلك عن طريق تقليل الكولسترول السيء و رفع مستوى الكولسترول الجيد.. و هذا يساعد في تعزيز صحة القلب والشرايين وحمايتها من الجلطات ، و

يساعد على جعل شرايينك أكثر مرونة مما يساعد في مقاومة السكتات الدماغية و القلبية..

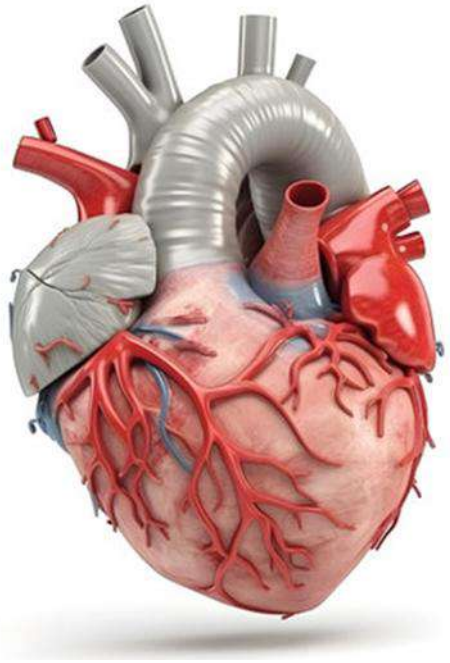

② تقوية المناعة و محاربة الجذور الحرة :

باحتواء الزيتون على مضادات الاكسدة من فيتامين

A وفيتامين **E**، تظهر فوائد زيت الزيتون في مكافحة الالتهابات وتعزيز المناعة عن طريق مكافحته للجذور الحرة السامة .. كما أُثبت مؤخراً دوره في الوقاية من سرطان الثدي تحديداً، فزيت الزيتون يحتوي على مواد تعمل على مقاومة وقتل الخلايا السرطانية وتدميرها..

③ تحسين مستوى الذاكرة :

حيث يحتوي الزيتون على مادة **بولي فينول** و مواد تحارب الجذور الحرة وتقلل الاكسدة في خلايا الدماغ

ومن أهمها فيتامين **E** .. كما وجدت بعض الأبحاث دوراً لزيت الزيتون في الوقاية من الزهايمر ..

④ فقدان الوزن و السيطرة على الشهية :

يحتوي الزيتون على كمية منخفضة من السعرات الحرارية و هو مصدر جيد للدهون الصحية غير المشبعة .. وهما عاملان قد يعززان فقدان الوزن من خلال تقليل الجوع عند تناولها و المساعدة على الشعور بالشبع و تقليل كمية الطعام المتناول لاحقاً وخاصة السكريات، و استبدال الدهون الأقل صحية في نظامك الغذائي ..

⑤ علاج فقر الدم :

يعد الزيتون مصدر جيد للحديد، و كما نعلم الحديد يدخل في تركيب خضاب الدم (الهيموغلوبين) ..

⑥ محاربة علامات الشيخوخة و تعزيز صحة البشرة و الشعر :

للزيتون خواص هامة في المحافظة على البشرة و مرونتها و حفظ رطوبتها و نعومتها بسبب احتوائه على **حمض الأوليك ..** و بوجود مضادات الاكسدة القوية أيضًا مثل فيتامين **E** ، يتم القضاء على الجذور الحرة و محاربة علامات الشيخوخة و التجاعيد و الترهلات و المحافظة على البشرة ناعمة وصحية .. كما وجد لزيت الزيتون دور في علاج الأكزيما وتشقق الأيدي والأرجل وعلاج حروق الشمس .. كما يعد مفيداً جداً لفروة الرأس و الشعر، فهو يمنع جفاف الشعر و يرطب فروة الرأس الجافة..

⑦ دعم الجهاز الهضمي :

إن الزيتون يحتوي على نسبة منخفضة من الكوليسترول و مصدر جيد للألياف الغذائية التي يحتاجها الجسم لصحة الأمعاء فيمنع حدوث الإمساك ..

⑧ تقليل الالتهاب :

يلعب الالتهاب المزمن دوراً رئيسياً في العديد من الأمراض، بما في ذلك التهاب المفاصل الروماتويدي و الصدفية.. و الزيتون مليء بمضادات الأكسدة التي ثبت أنها تساعد في علاج الالتهابات المزمنة و تخفيف أعراض هذه الأمراض و غيرها..

⑨ غنيّ بالفيتامينات و المعادن :

الزيتون غني بالفيتامينات و المعادن الضرورية مثل:

الكالسيوم و الصوديوم و البوتاسيوم و المغنيسيوم و الحديد و الفوسفور و الكبريت و النحاس و اليود ..

و كما ترى عزيزي القارئ ففوائد ثمار الزيتون و زيته متنوعة و تشمل مختلف أجهزة الجسم و وظائفه ، و نادراً ما تجد ثماراً بهذه الخصائص ، فأغلب الثمار تفيد عادةً ضمن نطاق محدد .. مما يجعلنا نفهم أكثر لماذا شجرة الزيتون مباركة ، دون أن ننسى **صفاتها**

الظاهرية العظيمة من **قوة و ثبات و ديمومة** ، و **صفاتها الباطنية الفريدة** من **خير و عطاء و حكمة و سلام** .. إنها بالتأكيد ليست شجرة السماء غير المنحازة للشرق أو للغرب بل تحمل العالم كله في عيونها بمحبة وحنان من فراغ !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الزيتونة**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الزيتون شجرة عادية كغيرها ، و إطراء الناس عليها مبالغة عاطفية على خلفية دينية لا أكثر ..

بل أن نقول :

= الزيتونة هي شجرة السماء المباركة و المقدسة بسبب فوائدها العارمة للإنسان و صحته ، و لأنها تمتلك

كوكبة فريدة من الصفات الظاهرية و الباطنية لا نجدها في أي شجرة أخرى ..

يقال أنه لا رهبنة في الإسلام **فالزواج نصف الدين** و بأن **على كل مسلم أن يتزوج وفق سنة الله و رسوله** .. لذا عليك عزيزي القارئ العازب أن تبحث عن فتاة مميزة ترتبط بها ، اخترها بعناية ، بحيث تشبه شجرة الزيتون بقوة شخصيتها .. خيرة و معطاءة كحالها .. مفعمة بالحب و الحكمة مثلها .. و الأهم أن تمنحك السلام الداخلي العارم الذي يحيل حياتك جناناً فتعمّران سوياً لسنين طوال ..

=

العالم الآخر

(الأكوان الموازية)

ألمانيا / ميونخ

غارميش بارتن كيرشن ..

وضع أوليفر المجهر الذي أحضره معه من البرازيل كهدية من السيد عزيز في زاوية مكتبه الأبنوسي في غرفة المطالعة لينضم كذكرى جديدة عن حقيقة كونية أخرى إلى رفيقاته اللوحات على الجدار أمامه، كي يتذكر على الدوام ما حفر على قاعدته عن غرور النفس البشرية ، فهي دعوة مستمرة للتواضع حينما يتذكر كوننا الواسع و هو يدور كزوبعة في فنجان.

كانت ذكريات اليخت ، الاحتكاك بالمنظمة و مواجهة الموت لا تزال حية في مخيلته كأنه يعيشها في كل لحظة .. فهو حرفياً من الناحية النفسية عائد من الموت

أشياء كثيرة تغيرت داخله بعد هذه التجربة ، فتقديره للحياة أصبح أعلى و رهبة الموت في عينيه أصبحت أقل بكثير ، كذلك فإنّ مكانة شام في قلبه تعززت ، تأصلت و تجذرت أكثر مما قبل و هو مقبل على الزواج منها الآن بوعي أكثر و قناعة أكبر، إذ أصبح لهذا الزواج أبعاد أخرى أهم و أعمق ، من جهة أخرى فإنّ احترامه للسيد عزيز زاد بعد خشيته عليه بتلك الطريقة دون إثارة قلقه ثم إنقاذه لحياته عبر إبلاغ الانتربول بإمكانية تعرضه للأذى و إن كان احتمالاً ضئيلاً ،

الأمر الذي وقع بالفعل ، كما أن الحقائق التي يجول العالم خلفها أصبحت ذات معنى مختلف بعد تجربته الخاصة في ما يشبه البرزخ بين العالمين ، إنه الوصول إلى شفير الموت ما كان ينقص تلك التجارب كتوابل عليها ليكتمل طعمها النهائي ، النغمة المفقودة من لحن الحياة و التي اكتمل بها تماماً ، فالضد يظهر حسنه الضد ، **و الموت يظهر محاسن الحياة بأبهى طريقة و أعمقها** ..

لقد كانت حقائق الحياة السابقة نظرية بحتة و الآن دخلت حيز التطبيق العملي ..

باختصار فإن الساعة التي قضاها أوليفر على سطح اليخت تعتبر أهم ساعة في حياته على الإطلاق لأنها جعلته لأول مرة ينظر إلى نفسه في مرآة الحياة و يقيم حياته من ماضٍ ، حاضر و مستقبل بأدق و أوضح صورة ممكنة كوضوح الرؤية في الجو عقب هطول المطر ..

كانت هنالك أفكار كثيرة تتزاحم في ذهنه بعد رحلته الحافلة بالأحداث بين الاسكندرية مع مكتبتها و أسرارها ثم بعدها كينغ ستون مع ديناميس روما و أخيراً ريو دي جانيرو حيث احتك بالمنظمة الظلامية.. لذا جلس إلى مكتبه الأبنوسي ، وضع ورقةً و قلماً أمامه ، ثم سجل عليها أهم الأحداث التي عاشها حتى الآن مع الحلقات

اللاحقة التي حصل عليها من سلسلة الحقيقة بفضل السيد عزيز :

◉ **الزيتونة (شجرة السماء) ..**

◉ **الأيام الإلهية السبعة و اليوم الآخر الثامن اللانهائي ..**

◉ **لسنا وحيدين في هذا الكون ..**

◉ **كوننا الذي يتوسع في حيز صغير للغاية في العالم الآخر ..**

إنها حقائق مذهلة و غريبة بالفعل ، و يضاف إليها العنصر الجديد الهام للغاية ..

◉ **إن السيد عزيز و البروفيسور ترومان و الأسقف جيمزا رأوا فيه الشخص القادم المؤهل لكسب إرث الحقيقة و الأسرار الكونية**

ألقى برأسه إلى الخلف يفكر بهذه المسؤولية الجديدة التي لم تكن على خاطره لا من قريب و لا من بعيد ، أغمض عينيه و شعر للحظة بروحه تغادر جسده و تحلق عالياً في السماء ثم تخترق الفضاء أسرع من الضوء لتصل حدود الكون فتتجاوز الكرة الكونية و

تصل العالم الآخر ..

نظر من حوله فكانت ملايين الأرواح تملأ ذلك العالم كخلية نحل ، رأى والديه الراحلين هنالك ، و صديق طفولته القريب من قلبه الذي هزمه السرطان بعد صراع طويل قاتل فيه بضراوة ، وغيرهم كثيرين من معارفه و ممن لا يعرفهم .. الجميع سعداء و في سلام غامر في ذلك المكان حيث **اللاألم** ، **اللاحزن** ، و **اللازمن** .. حيث **الطاقة الإيجابية و الأفكار الإيجابية** فقط تحتل المكان في حين تحلق الأفكار السلبية بعيدا في الفراغ كمثال حي و عبرة عن الماضي الأسود في الأرض كي لا تتكرر أبداً ، **كذرّة عملاقة قلبها موجب و تحيط بها الشحنة السالبة بعيداً** ..

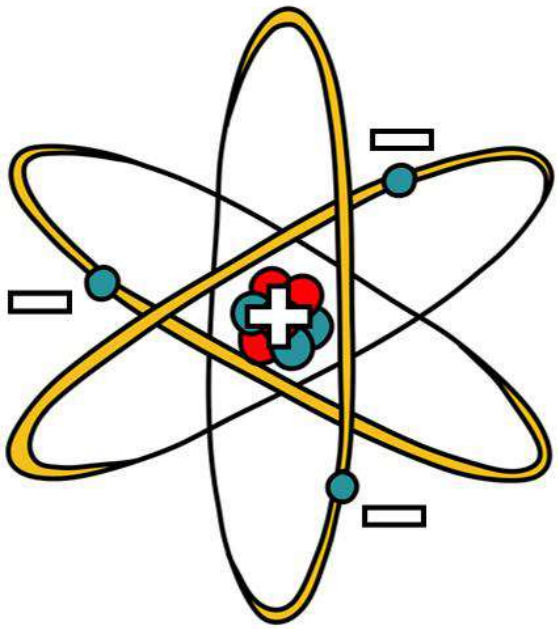

و في الوسط تماماً كانت هنالك ، الزيتونة (**شجرة السماء**) شامخة في الفضاء و جذورها ضاربة بعمق

في الأرض و الجميع من حولها كثمار تتساقط منها ..

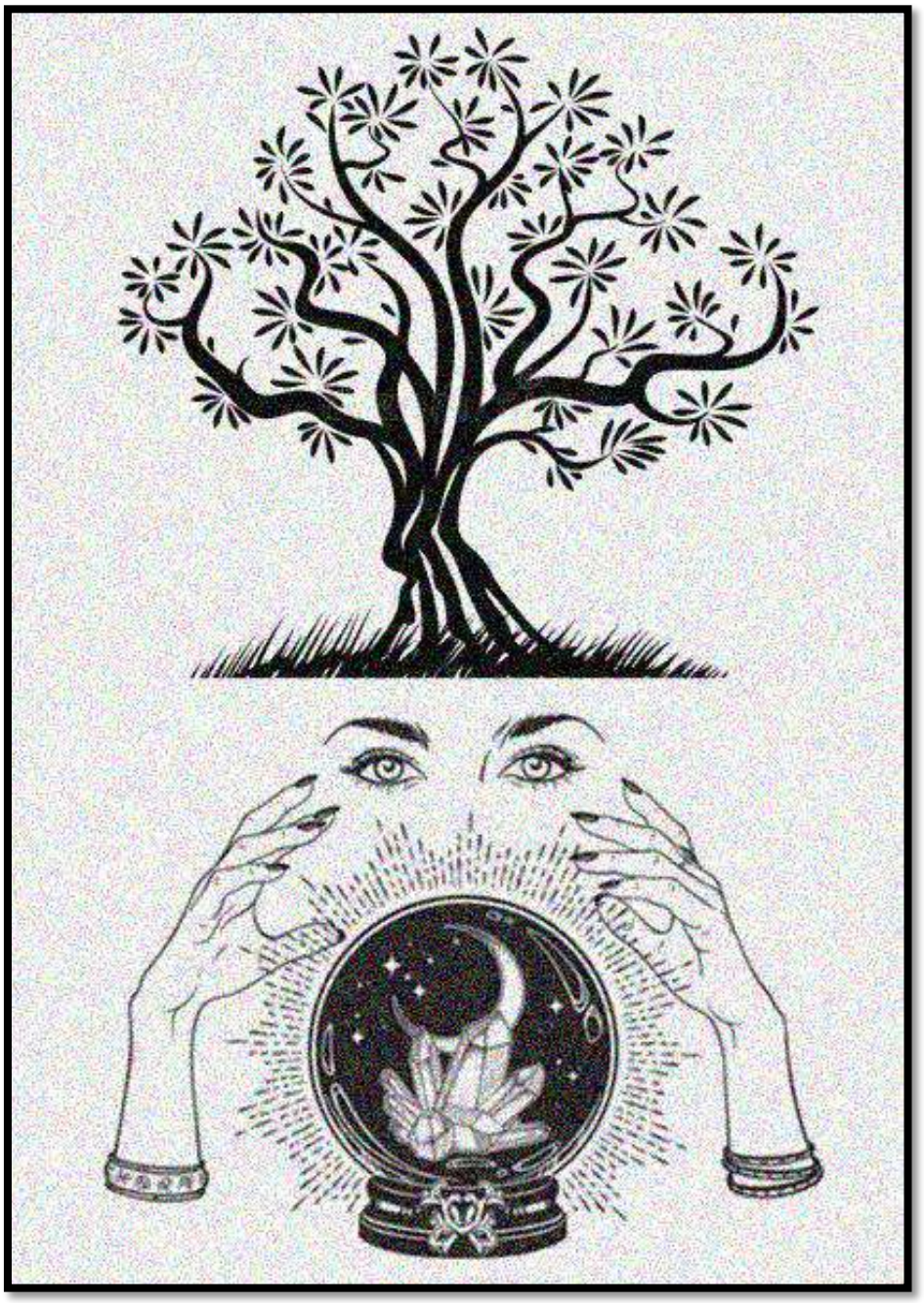

حامت روحه حولها و هي مفعمة بالأمان و الانتماء ثم عادت بالزمن إلى الوراء فرجعت الى الكرة الكونية بفضائها الشاسع ثم السماء و دخلت جسمه من جديد ففتح عينيه و ابتسم ، انها رحلة آنية تختصر كل ما مر به حتى الآن ..

ماذا بعد ؟ و ما لذي يخبئه السيد عزيز له في جعبته من حقائق أخرى ؟

الآن و قد سقطت المنظمة جزئياً قد تكون هنالك محاولات جدية منها للانتقام ، لذا سيلتزم السيد عزيز بلا أدنى شك قبوه (**دياميس روما**) في جامايكا كما أخبره لعدة أشهر ريثما تسقط كامل المنظمة ، و هو بدوره بعد احتكاكه بالمنظمة سيلتزم منزله أيضاً لفترة من الزمن و إن كان الخطر عليه أقل بكثير، فالسيد عزيز هو المقصود بالانتقام بسبب أفكاره ، من جهة أخرى زفافه اقترب و سينشغل به ..

إذا هي استراحة محارب من الأحاجي لبضعة أشهر ، هذا مؤسف بحقّ فدماغه أدمن بالكامل عليها و لم يعد يطيق الحياة الروتينية المملة ..

*****

يعلم كثير منا أنّ الكون يتوسع بسرعة تفوق سرعة الضوء ، لكن الأسئلة الأهم هنا في الحقيقة هي :

إلى أين يتوسع الكون ؟

و إلى متى سيبقى يتوسع ؟

هل هنالك حدود للحيز الذي يتوسع فيه ؟

و إن كان هنالك حدود للحيز فماذا يوجد خلفه ؟

في الحقيقة الجواب الشائع بين الناس على هذه الأسئلة هو أننا لم نفكر بهذا الموضوع من قبل ، أو من فكر به يقول أن الكون يتسع إلى ما لانهاية و لا وجود لشيء من حوله سوى الظلام .. فهل هذه الأجوبة كافية و منطقية أم أنها مغالطة جديدة كونية بطبيعتها ؟ و إن كانت كذلك ، فما هي الأجوبة الحقيقية على هذا الأسئلة الوجودية الجوهرية ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية بمقاربة مغالطتنا الجديدة (**العالم الآخر**) من **3** زوايا غريبة و هامة وشيقة للغاية :

- ◉ **إلى متى سيتوسع الكون ؟**
- ◉ **أين يوجد الحيز الذي يتوسع فيه الكون؟**
- ◉ **ماذا يوجد خلف الحيز الكوني ؟**

لذا اربط أحزمتك عزيزي القارئ و استعد فنحن مقبلون على رحلة بعيدة للغاية و مغامرة تحبس الأنفاس سنصل فيها إلى حيث لم يصل أحد من قبل ثم عاد من جديد ..

أولاً ، إلى متى سيتوسع الكون ؟

إن العلم و الدين في الحقيقة يتفقان معاً في الإجابة على هذا السؤال :

❁ **الجواب العلمي** : هنالك كم معين من الطاقة موزع

في هذا الكون لا يفنى و لا يخلق من العدم بل يتنقل من شكل لآخر بدون زيادة أو نقصان ككل .. و الجزء الأكبر من هذه الطاقة تقف وراء توسع الكون الرهيب على نحو أسرع من الضوء ، لكن هذه الطاقة ستستهلك بالكامل ذات يوم و عندها سنكون أمام أحد **3** احتمالات لمصير الكون :

- ثبات الكون على وضعه الأخير و برودته بشكل مهول ..
- تمزق الكون ..
- تغلب قوى الجاذبية على قوى التوسع و انكماش الكون و أياً كان مصير الكون فهو بالنهاية لن يتوسع إلى ما لا نهاية ..

❁ **الجواب الديني** : يقول البارئ في الذكر الحكيم :

((**يوم نطوي السماء كطي السجلّ للكتاب * كما بدأنا أول خلقٍ نعيده * وعداً علينا إنا كنا فاعلين**))

و هذه الآية تشير بوضوح إلى أنّ البارئ سيعيد الكون في نهاية القصة إلى وضعه الأولي الذي كان عليه ، فإن آمنا علمياً أنه كان عبارة عن نقطة مفرطة الكثافة قبل الانفجار العظيم فهو إذن سيعود إلى هذه الهيئة مجدداً ، و هذا يشير إلى خيار وحيد من الخيارات الثلاثة

السابقة و هو انكماش الكون .. و بالمحصلة الكون دينياً لن يتوسع أيضاً إلى ما لا نهاية ..

ثانياً ، أين يوجد الحيز الذي يتوسع فيه الكون ؟

◉ **من وجهة نظر العلم** : لم يتمكن العلم حتى الآن من رصد أي إشارات من خارج الحيز الكوني ، بمعنى أن ما يحدث خلف حدود هذا الحيز الذي يتوسع فيه الكون مبهم بالكامل علمياً ..

◉ **من وجهة نظر الدين** :

يقول البارئ في الذكر الحكيم :

((تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة))

و هذا يعني بوضوح أن انتقال الإنسان بعد موته يتم من الكون الموجود فيه (الكون الأصغر) إلى عالم آخر خارجه (الكون الأكبر) .. بمعنى أن الحيز الذي يتوسع فيه كوننا العزيز موجود في كون آخر أكبر منه بكثير ، بل على الأرجح هو عبارة عن حيز صغير للغاية فيه بحيث يحكم الله سيطرته على الكون الأصغر تلافياً لحدوث أي خروقات بشرية ممكنة .. وحتى في حال تفجر الكون الأصغر لسبب ما فهو لن يعدو كونه زوبعة في فنجان قهوة في الكون الأكبر أي لا تأثير يذكر له !!

◉ **من وجهة نظر شخصية** : الكون الأصغر يتوسع في كرة من مادة ما موجودة في الكون الأكبر .. كرة أشبه بكرة الساحرة المستبصرة التي ترى من خلالها كل شيء من ماضٍ و حاضر و مستقبل .. كرة سحرية

بين يدي شجرة السماء (الزيتونة) ..

ثالثاً ، ماذا يوجد خلف الحيز الكوني ؟

توصف جنان الله في الكتب السماوية بمصطلح (العالم الآخر) ، أي أننا نتحدث عن عالم مشابه لعالمنا في كثير من الجوانب ، أما أهم ميزات الكون الأكبر الذي سنعيش فيه عن الكون الأصغر الذي نعيش فيه الآن فهي التالي :

- **غياب المشاعر السلبية** التي نعاني منها في الكون الأصغر ، فهنالك لا وجود للألم أو الحزن أو الحقد أو

الحسد أو التعب أو المسؤوليات أو غيرها ..

❁ **لا معنى للزمن** ، فهنالك أوقات مستمرة من المتعة لا تتوقف بنوم أو تنتهي بموت ، بلا ماضٍ أو حاضر أو مستقبل أو ساعة أو توقيت .. فكل هذه مصطلحات دنيوية خاصة بالكون الأصغر فقط ..

❁ **متعة لا تنتهي** تجعل المتع الدنيوية من أوقات سعيدة و طعام و شراب و جنس بل حتى مخدرات و غيرها مجرد مقبلات بسيطة للغاية قبل الطبق الرئيسي

❁ **عدد هائل من الأكوان الموازية** بحيث يكون كل إنسان عاش على هذه الأرض هو ملك كونه الخاص المصمم وفق ميوله و رغباته و شخصيته الأرضية .. و تتشابك

هذه الأكوان على نحو مدهش يفجر العقل حرفياً ..

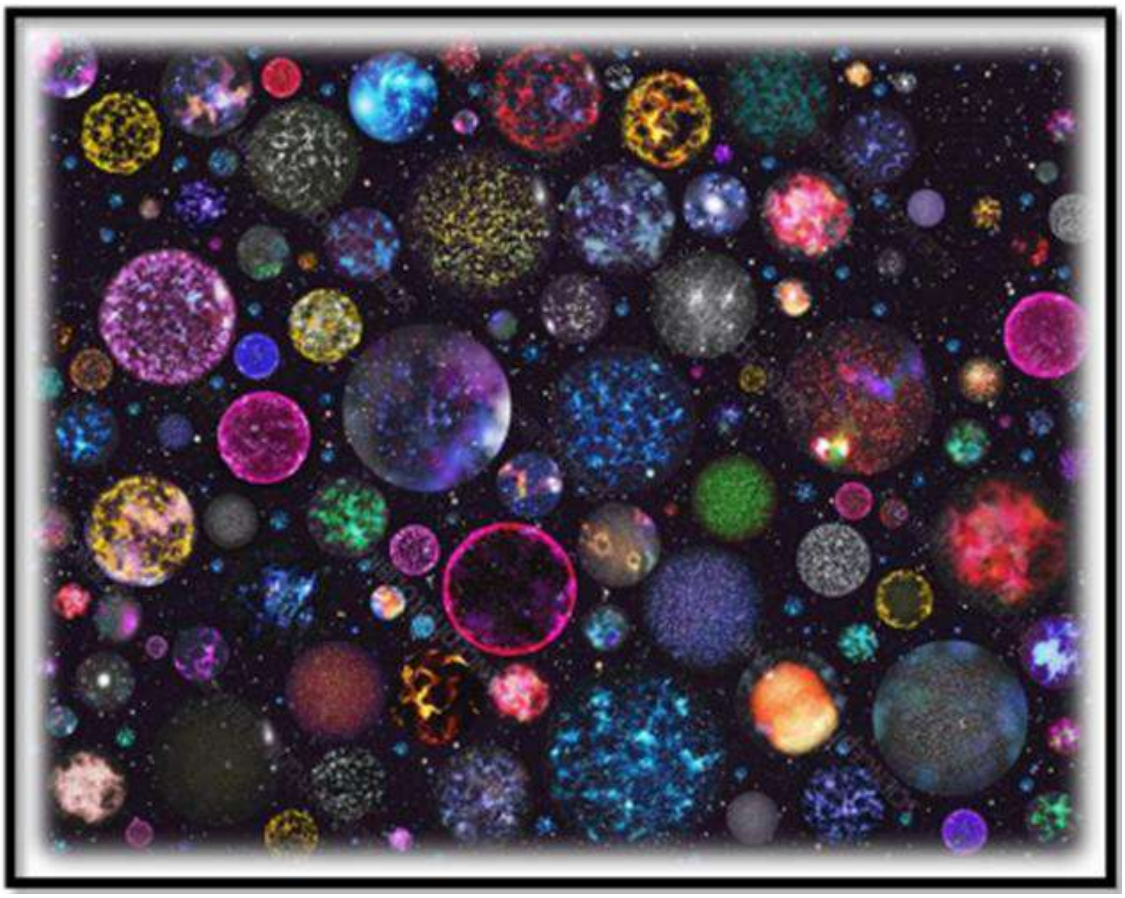

❁ **عدد غير منتهٍ من العوالم الافتراضية** شديدة التطور ، بحيث يمكن لكل إنسان أن يعيش في أي جسد يريده في أي بيئة يختارها و يعيش أي قصة أو مغامرة يتخيلها كل ما عليه هو اختيار البيانات الصحيحة ..

❁ **إمكانية كل إنسان أن يرى حياته التي عاشها على الأرض بتفاصيلها كلها** بتجسيم ثلاثي الأبعاد و كأنه يعيش مع نسخته السابقة تماماً منذ كان نطفة و بويضة يلتقيان حتى وفاته .. و تخيل معي عزيزي القارئ كم هذا رائع و مذهل .. أن ترى نفسك جنيناً ثم رضيعاً ثم

طفلاً ثم شاباً و هكذا .. و تتذكر أحداث تلاشت من ذاكرتك ..

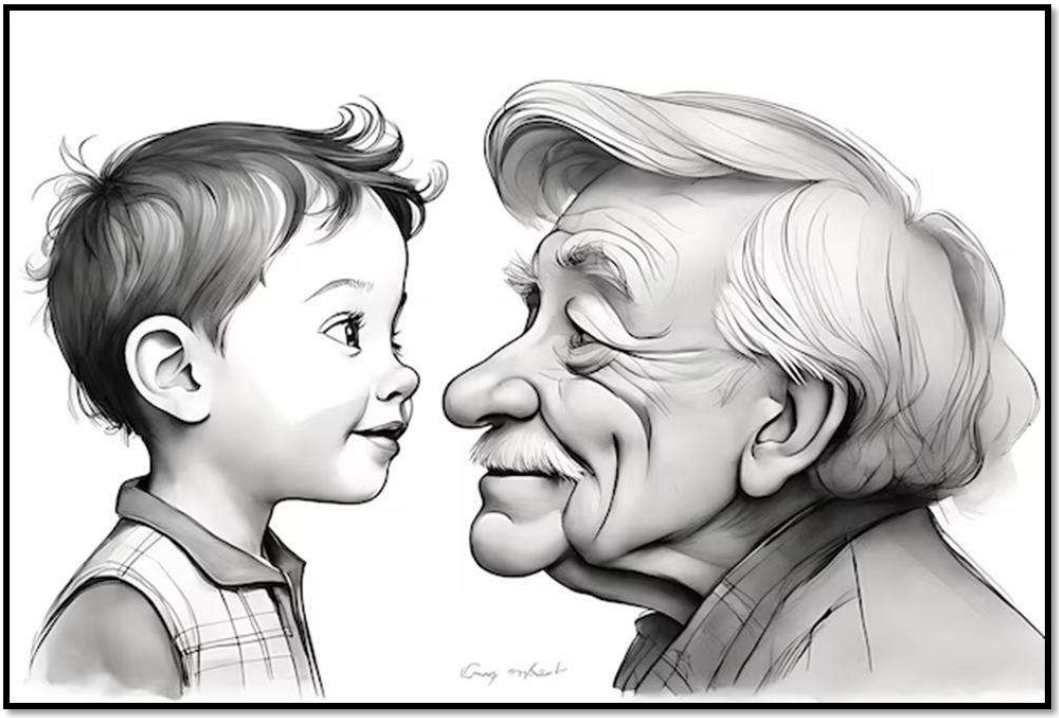

❁ **معرفة الإنسان لنوايا الآخرين تجاهه في الحياة** ، من ضحى من أجله دون أن يعرف و من خانه و تآمر عليه من وراء ظهره ..

❁ **معرفة الإنسان لتأثير أفعاله الأرضية على الآخرين عبر الأزمنة الثلاثة** و هذه الميزة مذهلة لدرجة تفوق الوصف ، حيث سيصدم كل إنسان بالتأثير المرعب لكيانه على الآخرين و على الكون الأصغر ، في حين كان يحسب نفسه قليل الأهمية و ربما بلا فائدة أو تأثير يذكر ، لكنه سيكتشف أن للسماء نظرة أخرى له فهي لم تخلقه جزافاً بلا أدنى شك !!

❁ **رؤية أحبائك في فترات عمرية لم تشهدها** ، كوالديك عندما كانوا أطفالاً أو أحفادك عندما أصبحوا عجائز و هكذا ..

❁ **الفهم الكامل لقصة الحياة الدنيوية** ، كيف بدأت و تطورت و انتهت ، السبب الكامن خلف خلق البشر فيها ، و الآليات المتنوعة لإدارتها ، و الدروس المختلفة البليغة و النبيلة لبناء الإنسان الحقيقي فيها ..

❁ **و بالطبع التعرف على شجرة السماء الزيتونة** ، على قصتها الملحمية الطويلة في بناء ذاتها و التي انتهت باكتشافها للكون الأكبر و لكل شيء ثم تصميمها للكون الأصغر و لنا فيه و منحها الحب الذي تستحقه منا ..

و القائمة تتسع و تطول من مزايا العالم الآخر .. لكن الأكيد أن **اسم الجنة لم يشتق من الجنون عن عبث** ، بل لأنها ستفقدك عقلك من هول جمالها و تطورها و

متعتها ، لذا جلّ ما عليك فعله عزيزي القارئ في هذه الحياة الدنيا هو أن تسعى لصلاح أفكارك و أقوالك و أفعالك و تترك لك أثراً طيباً فيها بحيث تليق بك جنان الله بعد موتك ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الغريبة (**العالم الآخر**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لا وجود لشيء اسمه العالم الآخر .. هنالك كون واحد يتوسع إلى ما لا نهاية ..

بل أن نقول :

= كوننا الشاسع الذي يذهلنا الآن لا يعدو كونه زوبعة في فنجان قهوة في الكون الأكبر الذي ينتظرنا لنعيش فيه بعد موتنا .. هناك حيث لا توجد سوى الإيجابيات و المتعة التي تسلب العقل و تصيبك بالجنون في جنان أقل ما توصف بأنها لا يمكن وصفها ..

في الحياة الدنيا يعمل الإنسان بجهد طوال الشهر بلا كلل أو ملل بغية تحصيل مكافأته آخر الشهر(**الراتب**) كجائزة لتعبه ، فينفقه على متعته و متعة من يحب ..

فكيف إذن يتذمر الإنسان من بذل الجهد و الالتزام بوصايا السماء في حياته كي يستحق عند نهايتها جائزة

عبارة عن :

شيك على بياض من النعم و السعادة و المتعة ؟!!

فكر بها قليلاً عزيزي القارئ فستجد أن سبب ذلك هو **شك الإنسان بالحياة بعد الموت أو ربما عدم إيمانه بها من الأساس** .. فالإيمان الحقيقي يعني الوعي البديهي بأن هذه الدنيا الفانية مجرد **غمضة عين** قبل الخلود في الآخرة لذا تستحق منا الزهد و عدم التمسك بها و الالتفات إلى صلاح الأفكار و الأقوال و الأعمال على امتداد سنين عمرنا حتى يتوفانا الله و ننتقل إلى كونه الأكبر .. صدقني ما ينتظرك هناك لا يستوعبه عقلك و يستحق منك بذل الغالي و النفيس في حياتك كي تحظى به في النهاية ..

من قبل الكون

(حي بن يقظان)

اقتحم أوليفر حرم **جامعة ويلينغتون** في نيوزيلنداو هو يغلي من الحماس و الرهبة و الفضول، فاستدل إلى القسم الخاص بعلم التطور والانتخاب الطبيعي و اتجه إليه مباشرةً ، وجد هناك طلاباً كثيرين متجمعين في البهو ، فسألهم عن مكتب البروفيسور **كيفن نايت** .. أشاروا إلى مكتب في نهاية الممر إلى اليمين فتابع طريقه إليه ..

وقف أمام الغرفة المقصودة يفكر للحظات، لقد قرر أمس أن أفضل طريقة للبدء بالكلام مع البروفيسور هي الادعاء بأنه يؤلف كتاباً مبسطاً عن **تطور الكون والحياة** و أنه بحاجة لدعم علمي منه، بالطبع لا يستطيع استخدام السيد عزيز مجدداً كذريعة في مكانٍ كهذا، ففي حال كان تحليلاته خاطئة سيضع نفسه في موقف لا يحسد عليه أبداً، زد على ذلك أنه في حرم جامعة وليست مكاناً للتعارف...
حزم امره وطرق باب مكتب البروفيسور، فسمع صوتاً عميقاً من الداخل

● تفضل ...

أدار مقبض الباب ودخل فتفاجأ برؤية شاب في حدود عمره تقريباً جالساً خلف مكتبه يبتسم له ، لقد تصور البروفيسور كرجل مسن أصلع مع لحية طويلة بيضاء على هيئة **تشارلز داروين** مثلاً ، تمالك نفسه سريعاً و

بادله الابتسامة ..

○ مرحباً بروفيسور نايت، أنا أوليفر، هل بإمكاني أن آخذ من وقتك دقائق؟

● بالطبع سيد أوليفر، **تفضل لقد كنت بانتظارك** ..

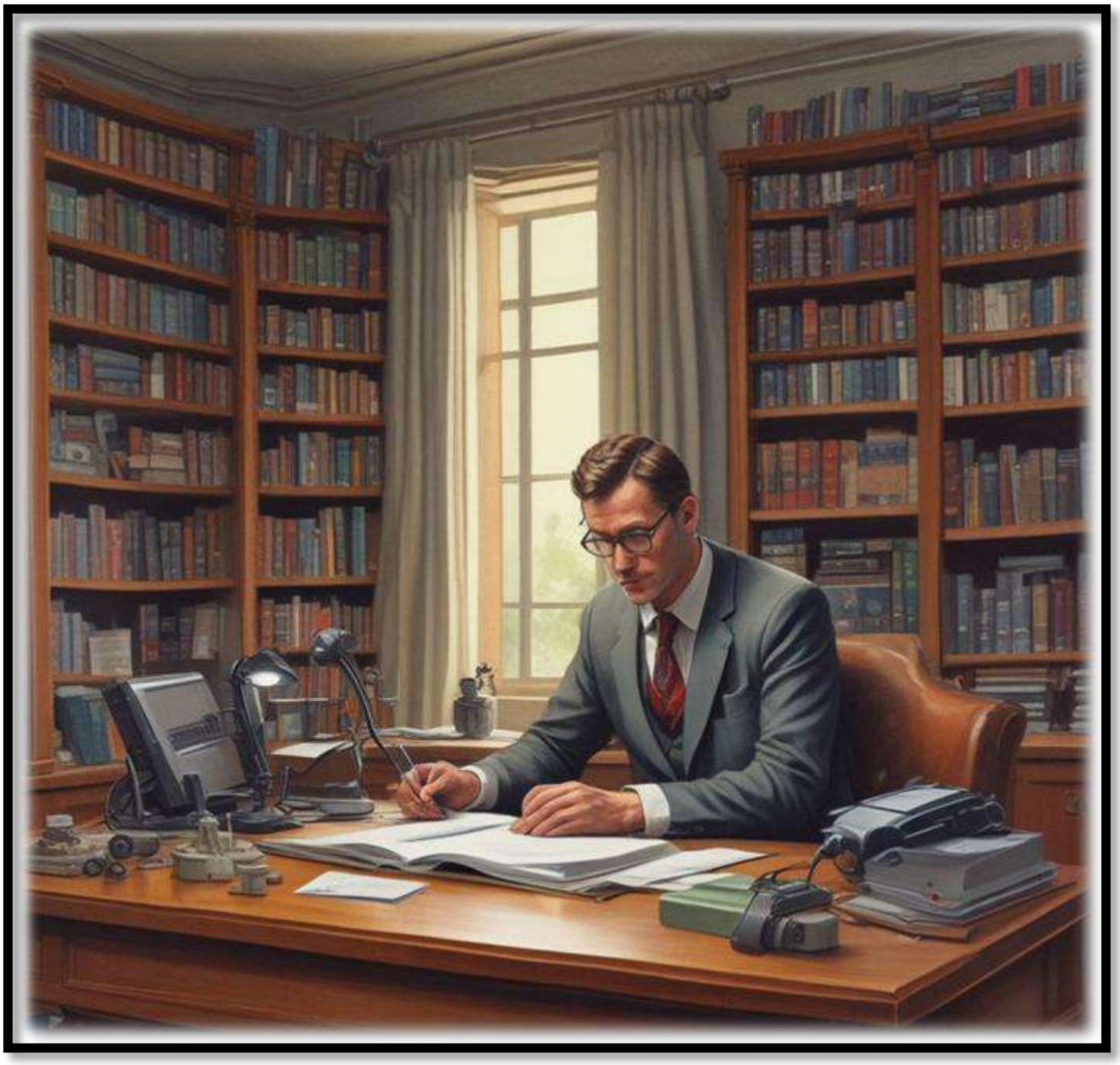

كانت هذه الجملة ثاني مفاجآت اللقاء فجعلت أوليفر يجمد في مكانه كتمثال حجري و قد تملكته الدهشة من أخمص قدميه إلى قمة رأسه على نحوٍ لم يخفَ عن عين البروفيسور الذي تابع كلامه بهدوء ..

● اجلس سيد أوليفر لقد أخبرني السيد عزيز بمجيئك وترك لك أمانة عندي ..

اختار أوليفر كرسياً أمام المكتب و جلس عليه و هو مذهول في حين غادر البروفيسور مقعده باتجاه مكتبة في صدر الغرفة و فتح أحد أبوابها المغلقة ثم أخرج منها قطعة مربعة كبيرة ومغلفة بعناية لم يشك أوليفر لحظةً واحدةً أنها إحدى لوحات السيد عزيز.. خفق قلبه بشدة فقد حصل هذه المرة بنفسه على لوحة و عاوده الإحساس ذاته بأنها اللوحة الأهم التي ستفسر سابقاتها كلها ...

● هاك الأمانة، لقد وصلت في الوقت المناسب تماماً، فمحاضرتي بعد ربع ساعة.. و أنا مضطر للانصراف الآن .. بلّغ السيد عزيز تحياتي القلبية ولعلنا نلتقي مجدداً في مكانٍ أنسب و ظروف أفضل، هذه بطاقتي إن أحببت الحديث لاحقاً أو الاستفسار عن أي شيء ..

○ تشرفت بمعرفتك بروفيسور وشكراً على الاحتفاظ بالأمانة و تسليمها بأمانة ، سأتصل معك لاحقاً بالطبع فالنقاش مع بروفيسور بمنزلتك لا يفوّت و لا يعوّض

خرجا معاً من الغرفة فأغلقها البروفيسور بالمفتاح و اتجه إلى قاعة المحاضرة، في حين قفل أوليفر عائداً إلى الفندق ..

أخذت أفكار أوليفر المزدحمة تتلاعب بعقله كورقة خريف في قلب زوبعة عاتية بينما كانت سيارة الأجرة تشق طريقها نحو الفندق، إن الظروف سهلت عليه الأمر كثيراً إذ وفّرت عليه استخدام أي ذريعة للقاء البروفيسور ناهيك عن حصوله على لوحة خاصة به على خلاف ما سبق ، لكنها من جهة أخرى لم تسعفه في النقاش مع البروفيسور و الاستفسار منه بخصوص أصل الكون و تطور الحياة عله يجد تفسيراً للثغرة التي تنخر دماغه كلما قرأ ذلك الكتاب ... لذا قرر أن يحادثه هاتفياً مساءً ليلتقي به إن أمكن، فبطاقته أمست بحوزته..

بلغ الفندق أخيراً و سارع إلى غرفته يكاد قلبه يسبق قدميه من شدّة اللهفة و الفضول فأغلف الباب خلفه و قام على الفور بتمزيق الغلاف عن الأمانة.. بالفعل كان توقعه في مكانه ، إنها عبارة عن لوحة جديدة موقعة باسم السيد عزيز .. لكنها كانت أشد غرابة مما تخيل لدرجة أنه جمد في مكانه صامتاً لدقائق ، يتأملها و هو في حالة رهبة كاملة ، كمصلٍ يقف في المحراب بخشوع ...

كانت هذه اللوحة على غير عادة السيد عزيز معقدة و دقيقة في آن معاً .. تمثل **أنثى تتشكل من التراب ضاربةً جذورها فيه و تنمو إلى خارجه كالشجرة ...**

الزيتونة مجدداً !!

ذكرته اللوحة على الفور بأسطورة **حيّ بن يقظان** الذي تكون في التراب بدوره .. إنها بلا أدنى شك الأنثى التي تحدث عنها السيد عزيز في ميلانو و أشار إليها في كل الأحاجي السابقة كرموز ...

إذاً استنتاجاته بالأمس جميعها في مكانها، إنها أنثى !

استغرق بالتفكير في جزئيات اللوحة أكثر ، إنها تشير إلى أنثى تولد من التراب من دون أبوَين ، فهل هذه

إشارة إلى بناء ذاتها بنفسها دون عون من أحد ؟ منطقي للغاية .. وهي تنمو خارجه كشجرة، فهل هي الزيتونة التي ختم بها السيد عزيز كلامه في ميلانو كنصيحة (تذكر الزيتونة فكل شيء مرتبط بها) ...

أخذت الأسئلة تنهال على رأسه كانهيارات ثلجية و كل سؤال يقوده إلى آخر .. من هي هذه الأنثى التي يقصدها السيد عزيز؟ من أين جاءت ؟ أين توجد ؟ لماذا لم يسمع عنها من قبل ؟ و الأهم ما علاقة هذه اللوحة الغريبة بها .. لقد تأمل أن تجيبه اللوحة عن أسئلة الأمس لكنها خلقت كوكبة جديدة من الأسئلة المحيرة .. !!

قلب اللوحة فوجد على وجهها الخلفي كتابة، وخفق قلبه بشدة، قد يكون فيها ما يجيبه عن هذه الأسئلة ...

كانت الكتابة تشير إلى سلسلة من الأحداث:

في البدء كان الانفجار ..

ثم كانت الكيمياء ..

ثم تنفست الكيمياء فكانت الخلية ..

ثم تطورت الخلية فأصبحت كائناً ..

ثم تطور العقل فوجد الوعي و ولدت المشاعر و الزمن ..

ثم تطور العقل اكثر فبدأ يكتشف الكون ..

ثم تطور العقل اكثر فأكثر حتى اكتشف كامل الكون

و روّضه كحصان بريّ ..

ثم استدار الكون كخاتم في إصبعها ..

و اليوم نحن نمشي على خطاها ..

كانت السلسلة تتحدث عن تطور الحياة بطريقةٍ ما كما تتنبأ بمصيرها القادم ، لكن من هي السيدة التي أشار إليها في النهاية، هل هي الموجودة في اللوحة ؟ هذا ما يفترضه المنطق و العقل ! لكن من هي بالأساس ؟ و ما الذي يقصده السيد عزيز بأننا نمشي على خطاها، إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو تكرار التجربة والسير في ذات الطريق أي درب التطور من جزيئات إلى خلية و أخيراً كائن متكامل يكشف النقاب عن أسرار الكون المذهلة ، لكن كيف سيتم ذلك ؟

إنه بحاجة لترتيب أفكاره، فهذا كم كبير من الأحاجي المتداخلة، و رغم ذلك فهو يشعر بأنه قاب قوسين أو أدنى من الحقيقة .. إذ اقتحم رسمياً صلب الحكاية و بات الحديث الآن بشكل صريح عن الأنثى التي ذكرها السيد عزيز في ميلانو و لمح إليها برموز في الرحلات و الأحاجي السابقة في ألمانيت و بوليفيا و تونس و تايلند ..

نسي البروفيسور كيفن تماماً وقراره برؤيته مساءً، لقد غيرت اللوحة كل شيء فقلبت الموازين و غيرت خارطة المعادلات و القرارات جذرياً ...
فالآن لم يعد هنالك من مبرر للبقاء في نيوزيلاندا، لقد حصل على لوحة خاصة به هذه المرة مع حكاية مكتوبة عليها، وأفضل خطوة تالية هي العودة إلى منزله والتفكير هنالك بهدوء وعمق ...

*****

تحدثنا في مغالطات سابقة عن شجرة السماء **(الزيتونة)** التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة النور ، و ناقشنا طريقة تدبيرها للأمور في الكون الأصغر ، كما ناقشنا في مغالطة سابقة في هذا الكتاب عن طبيعة الكون الأكبر الذي ينتظرنا بعد الموت ، فهل انتهت القصة هنا ؟ في الحقيقة لا فهذه مغالطة كبيرة بدورها لأن الجزء الأهم و الأكثر دهشة و غموض من القصة هو ما حدث مع الزيتونة في الكون الأكبر قبل تصميم الكون الأصغر ، و كي نتعرف أكثر على حياتها هذه ، سنقوم بمقاربتها من زاويتين هامتين و شيقتين للغاية :

- **أسطورة حيّ بن يقظان ..**
- **مراحل تطور الزيتونة ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نغادر فضاء الكون الأصغر إلى الكون الأكبر ثم نعود هناك بالزمن إلى الوراء إلى بداية

البدايات حينما لم يكن هنالك زمن على الإطلاق ..
مجرد نقطة صغيرة مقدسة تحوي في جيناتها كل شيء
قادم حرفياً .. الشرنقة التي خرجت منها الزيتونة
كفراشة لطيفة لكن بعد كفاح طويل جداً كدودة قز
تكتشف أسرار الكون الأكبر بشغف و فضول ..

أولاً ، أسطورة حيّ بن يقظان ..

لماذا سنتحدث عن هذه الأسطورة ؟ لأنها ذات صلة كبيرة و مشابهة بشكل عميق و غريب لتطور الزيتونة في الكون الأكبر كما سنرى بعد قليل ..

رواية تحكي قصة شخص يدعى حي بن يقظان نشأ في جزيرة وحده، و تناقش طبيعة للإنسان وعلاقته بالكون والدين، كما احتوت مضامين فلسفية، وشارك في تأليفها عدة أشخاص من الأدباء العرب والمسلمين فكان أول مؤلف لقصة حي بن يقظان هو الفيلسوف **ابن سينا**،

وكتبها أثناء سجنه، ثم أعاد بناءها الشيخ **شهاب الدين السهروردي**، وبعدها أعاد كتابتها الفيلسوف الأندلسي **ابن طفيل**، ثم كانت آخر رواية للقصة من قبل **ابن النفيس** .. لكن أشهر مؤلف من بين هؤلاء الأربعة التصقت القصة باسمه هو ابن طفيل..

وقد كان لهذه الرواية أثر كبير على (جون لوك) الفيلسوف الإنجليزي الشهير، الذي كتب كتاباً يصف فيه

العقل كصفحة بيضاء خالية من كل القواعد والمعوقات الموروثة و هو كتاب مستلهم من رواية حي بن يقظان تحت عنوان **الفيلسوف الذي علم نفسه بنفسه** ، وتأثر بالترجمة أجيال من الفلاسفة..

و رواية حي بن يقظان هي الأساس لعديد من روائع الفكر والأدب العالمي مثل كتاب (**عقيدة القس من جبل السافوا**) للفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو**، وكذلك نجد الأحداث المشتركة واضحة بينها وبين رواية **روبنسون كروزو** للكاتب **دانييل ديفو**، وقصة **ماوكلي** فتى الأدغال وشخصية **طرزان** التي تتحدث معظمها عن سلوك الإنسان عندما يجبر على العيش في بيئة منعزلة وحده ..

إن ولادة حي بن يقظان تبقى لغزا ، فبعض المصادر تقول أنه ولد لأبوين بشريين ثم تركاه على جزيرة الواق واق ، و البعض الآخر تقول أنه تكون من تلقاء نفسه من التراب و هذه الرواية هي ما تعنينا في مغالطتنا .. و تكمل الروايتان بنفس الأحداث حيث سمعت ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه، وكان أن عثرت على حي الوليد فأرضعته وحضنته ..

يكبر حي بن يقظان وتمر حياته بسبع مراحل.. أما **الأولى** فهي **إرضاع الظبية لحي** وحضانتها ورعايتها له حتى عمر سبع سنوات.. و **الثانية** **وفاة الظبية**

وتشريحها من قبل حي لمعرفة سبب الوفاة، وهنا بدأت تتكون عند حي المعرفة عن طريق الحواس والتجربة..

أما المرحلة **الثالثة** فكانت في **اكتشاف النار**.. أما **الرابعة** فكانت في **دراسته لجميع الأجسام** التي كانت موجودة حوله ، فكان بذلك يكتشف الوحدة والكثرة في الجسم والروح، واكتشف تشابه الكائنات في المادة واختلافها في الصور ..

قابل حي بن يقظان رجلاً جاء من جزيرة مجاورة يدعى **أبسال**، ليبدأ الاثنان في طرح نقاشات حول الطبيعة والأخلاق والله ، و يصدم أبسال عندما يعرف أن حي قد اكتشف كل الحقائق لوحده ، و يحاول حي بن يقظان نقل فهمه العقلاني للأشياء إلى أهل جزيرة أبسال، ولكن سعيه ينتهي بالإخفاق ، فيدرك بن يقظان أن معظم الناس تحركهم الأنانية والجشع والعواطف ولا يلقون بالاً لنداء العقل والضمير، ثم يرجع حي بن يقظان إلى

جزيرته برفقة أبسال الذي أصبح تلميذا له..

المرحلة **الخامسة** كانت في **اكتشاف الفضاء** وهذا شجعه إلى الخروج من رصد الكون فحسب إلى معرفة أنه قديم للغاية و كذلك فهم آلية نشوئه .. وعند بلوغه الخامسة والثلاثين من عمره، بدأ حيّ مرحلته **السادسة** وهي **الاستنتاج بعد التفكير**، فتوصل إلى أن النفس منفصلة عن الجسد و غيرها من الخلاصات و أنه يعيش حالة توق إلى الموجِد واجب الوجود.. وأخيرا، يصر حي بن يقظان، في المرحلة **السابعة** على أن **سعادته** تكون في **ديمومة المشاهدة لهذا الموجِد الواجب الوجود** ورغبته في البقاء داخل حياة رسمها الموجد له ، و هي بالضبط الخلاصة التي توصلت إليها زيتونة السماء و صممت الكون الأصغر على أساسها كما سنرى بعد قليل ..

ثانياً ، مراحل تطور الزيتونة ..

يمكن تقسيم حياة الزيتونة إلى **4** مراحل رئيسية :

① مرحلة التطور ما قبل الوعي :

و تقسم هذه المرحلة إلى شقين :

❁ **مرحلة الجماد** : و هي المرحلة المكافئة للانفجار العظيم في كوننا الأصغر و مشابهة له بالأحداث حيث تشكلت المادة عبر التسلسل المعروف :

(جزئيات دون ذرية ثم ذرات ثم جزئيات ثم مواد متنوعة شكلت النجوم و الكواكب و الأقمار و الكويكبات ..)

❁ **مرحلة نشوء الحياة** : عبر عملية تطورية ، و في الحقيقة نشوء أول شكل من أشكال الحياة (الخلية) التي تقوم بعملية تنفس في الكون الأكبر تم بسبب وجود بيئة كيميائية مناسبة حاضنة محيطة بها تفاعلت معها فحرضتها على القيام بعملية التنفس تلك ..

و هذا بالضبط هو جوهر عملية تكون **البيضة** و الجنين بداخلها ، فالبيضة عبارة عن مواد كيميائية مغذية و حافظة تحيط بالكائن الحي و تتفاعل معه كي ينمو و يتطور حتى يكتمل و يستقل بنفسه عن البيضة .. و هذا ما ينطبق أيضاً على مفهوم **الرحم** الأشمل الذي يحيط بالحياة ، بمعنى أنّ الجماد أو المادة أتت أولاً ثم كونت

بيئة مناسبة لتطور الخلية الحية لاحقاً ، و هذه الخلية هي البيضة الملقحة بالنسبة للزيتونة التي تطورت و انقسمت عبر عملية تطورية مزمنة للغاية و بدأت أنواع معينة من هذه الخلايا بالتمايز و التخصص كتفاعل مع البيئة من حولها .. **و يلعب الماء دور البطولة في هذه الثورة** بانتقال المادة من جزيئات غير حية إلى خلية حية تتنفس .. و هذه الأحداث كلها جرت في التراب المتشكل على أحد الكواكب ، لذا يقال أن آدم خلق من تراب تماماً كحال حي بن يقظان ، فما ذلك سوى تشبيه لطريقة تكون الزيتونة بنفسها و التي صممت البشر على شاكلتها .. هذه الخلية التي ظهرت أخذت بالانقسام لاحقاً و التطور تدريجياً إلى أن شكلت عبر عملية مزمنة للغاية شبه كائن لكن غير واعٍ .. تحركه الغريزة و يتطور بشكل مستمر ..

② مرحلة ما بعد الوعي :

بعد أول حادثة ثورية في حياة الزيتونة و هي تنفس المادة و ولادة الخلية ، تأتي الحادثة الثورية الثانية و هي ولادة الوعي لدى شكلها الأخير عبر تطور الدماغ إلى مستوى متقدم ، و مع ظهور الوعي ظهر بالتزامن معه :

- ❁ الزمن ..
- ❁ المشاعر بأنواعها ..

❁ الأنا ..

❁ منعكس اكتشاف الذات و المحيط ..

و هذه المرحلة لا يمكن وصف الألم و الإحباط و الإرادة الفولاذية فيها .. فهي عبارة عن انتقال من إخفاق إلى إخفاق بدون يأس .. و النور في نهاية النفق الذي كان يلهم الزيتونة على المتابعة هو متعة العلم و الاكتشاف كما حدث مع صديقنا حي بن يقظان بالضبط ، فمع كل اكتشاف جديد كان يطرأ تحسن و تطور على حياة الزيتونة مما يمنحها أملاً جديداً .. و هذه التجارب كلها نجدها في تجارب البشر من حولنا اليوم كأمثلة مبسطة ، و لن أطيل الوصف و الكلام عن هذه المرحلة احتراماً للزيتونة لأن ما من كلام يمكنه الإحاطة بما مرت به و عانته خلال هذه المرحلة .. **لذا فبطل هذه المرحلة هو الإرادة التي لا تقهر ..**

③ مرحلة ترويض الكون :

مع تتالي الاكتشافات أصبحت الزيتونة ذات سيطرة أكبر على جسدها و على المحيط من حولها فتحولت من دور الدفاع إلى دور الهجوم .. و بدأت كقائدة فذة تبسط سيطرتها على رقعة الكون بالتدرج حتى توجت ملايين السنين من التطور المزمن باكتشاف كل غياهب الكون و ترويضه لخدمتها ، و هذه المرحلة سيفهمها فقط البشر الذين ستسنح لهم الفرصة في العيش في آخر سنوات الحياة على كوكب الأرض عندما يبلغ تطور البشرية مستويات مذهلة .. و يمكن تجسيد هذه المرحلة بأن الزيتونة عبارة عن فارسة و الكون هو حصانها الجامح البري الذي عانت كثيراً حتى روضته بالنهاية و أحالت الكون الباهت إلى جنان ملونة .. **و بطل هذه المرحلة هو العلم و المعرفة التي تخرج المخلوقات من الظلمات إلى النور ..**

④ مرحلة البحث عن عائلة :

في حياة البشر و بعد أن يبلغ الذكر أو الأنثى عمراً محدداً و يفرغون من اكتشاف أنفسهم و اكتشاف الحياة من حولهم يبدأ تفكيرهم بالاتجاه إلى تكوين عائلة تمنحهم **السعادة و الاستقرار و الأمان** و تجعل للحياة معنى .. و هذه الغريزة هي ذاتها التي دفعت بالزيتونة إلى التفكير بتكوين عائلة بعد أن فرغت من تكوين ذاتها ، و الأهم بالنسبة لها تصميم إنسان يختزل في تكوينه و شخصيته الكون الأكبر الذي احتضنها و ترعرعت فيه ليكون هذا الشخص بمثابة عائلة كاملة لها ، أب و أم وأخ و ابن بل و صديق مقرب قضت ملايين السنين تتخيله في فضاء الكون و تناجيه و تفشي له بأسرارها و هي على ثقة تامة أنه موجود في مكان ما من الكون الأكبر ، إنه ببساطة الإله الذي عبدته في حياتها و خالقها الذي تدين له بوجودها .. و لأن الزيتونة اكتشفت بعد ترويض الكون أن لا وجود لهذا الإله فإنها فهمت أن الكون الأكبر بنفسه هو ذاك الإله الأزلي بلا بداية و الأبدي بلا نهاية .. لذا أرادت تجسيده بشخص وضعت فيه صفات الكون كلها ليكون رمزاً لخالقها الذي تؤمن به .. و من هذا الشخص أرادت أيضاً أن تنجب عائلة كاملة من مليارات البشر ، لأن الجنة بلا ناس لا معنى لها من الأساس .. فبعد العيش في جنتها لملايين السنين الأخرى استنفذت مصادر سعادتها بالتكرار و التعود

بغياب الآخر في حياتها الذي يولّد التجديد و الاستمرارية بالمتعة و السعادة ، لذا حسمت أمرها في النهاية و صممت الكون الأصغر كمدرسة تعلم فيها أبناءها البشر أسرار الحياة و دروسها كي تليق بهم جنانها بعد الموت و يعيشوا جميعاً ببهجة و أمان إلى الأبد .. و **بطل هذه المرحلة هو غريزة الأمومة** ..

هذه باختصار شديد هي قصة حياة الزيتونة منذ بدأت كخلية حتى انتهت كحسناء تقود الكون الأكبر و أم عظيمة تنتظر أبناءها بفارغ الصبر و من بينهم شخص واحد تدين له بكل شيء و تعتبره الكون الأكبر الذي ترعرعت فيه و اكتشفت نفسها كما اكتشفت أسراره و

خفاياه أيضاً ، البيضة التي فقست أو الشرنقة التي تفتحت و خرجت منهما إلى الحياة ، **الموجد الواجب الوجود** الذي وصل إليه حي بن يقظان بالنهاية ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**من قبل الكون**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الزيتونة ظالمة للغاية ، لماذا تعذبنا و تبتلينا و تضع العراقيل في طريقنا ، من يفعل ذلك بأبنائه ؟!..

بل أن نقول :

= كل ما تعانيه في حياتك من ألم هو عبارة عن دبوس وخز إصبع الزيتونة في حياتها ، فما عانته لا يوصف بكلام كي نعبر عنه بالأساس ، و هي اختارت لك أقصر الطرق التي تصنع منك نسخة شبيهة بها .. نسخة تستحق جنانها العظيمة و قابلة لاستقبال بهجتها و نعمها

هنالك مقطع شعري للشاعر السوري الكبير**نزار قباني** يقول :

(قد تغدو امرأة يا ولدي يهواها القلب هي الدنيا)

و بالفعل ، قد يعشق الإنسان امرأةً بحجم الدنيا، سيدةً متمرسةً، متمردةً، عظيمةً، ملكةً **كزنوبيا** في تدمر، وقائدةً **كديهيا** عند الأمازيغ... حسناء **كنفرتيتي** في مصر، عذبة الصوت **كفيروز** لبنان، مليئةً بالحب **كفينوس** أثينا وبالحنان **كالأم تيريزا**، نقيةً نقاء الثلج **كمريم العذراء**، كعطر مزيج من جميع عطور العالم .. هذه الأنثى باختصار هي الزيتونة عزيزي القارئ .

SOS

(في البدء كانت البيضة)

= انظري للأطفال كيف يلهون بسعادة ببيوض عيد الفصح المجيد ..

= معك حق يا صديقي .. البيض الملون و المزين في كل مكان .. بالمناسبة ما علاقة البيض بعيد الفصح ؟

= للصدفة الغريبة فقد قرأت بالأمس مقالة عن ذلك كانت تتحدث عن **بيوض فابرجيه** الشهيرة و تشعبت إلى أصل حكاية بيضة الفصح ، و في الحقيقة البيض الملون تقليد فرعوني ظهر عام **2700** قبل الميلاد و يدعى في مصر **احتفال شمّ النسيم** حيث كلمة شمّ تأتي من كلمة **شمّو** بالفرعونية بمعنى الصيف أي هو احتفال بنهاية الشتاء الحزين ، ثم انتقل هذا الاحتفال إلى اليهود حيث تصادف عيد شم النسيم مع خروج النبي موسى من مصر ، ثم انتقل إلى المسيحيين عندما تصادف عيد شم النسيم أيضاً مع عيد قيامة يسوع المسيح ..

= مذهل !! و ما قصة بيوض فابرجيه هذه ؟!

= بيوض فابرجيه هي تحف ثمينة من صنع الصائغ

الروسي **بيتر كارل فابرجيه**، و تمثل بيوض الفصح المصنوعة من مواد خاصة مزركشة و منقوشة و باهظة الثمن ..

= و ما الغاية منها ؟

= مجرّد تحف للبيع ، و قد صنع فابرجيه قسماً منها للقياصرة الروس نيقولا الثاني و نيقولا الثالث كهدايا لزوجتيهما ..

= معلومة جميلة بالفعل ، لكن أتعرف ما هو السؤال الأهم المرتبط بالبيض يا صديقي ؟

= ما هو ؟!

= أيهما وجد أولاً البيضة أم الدجاجة ؟

ضحك الصديق من قلبه ..

= محقة .. السؤال الأزلي الأبدي الغامض ، الذي لم يتمكن أحد من حسمه حتى هذه اللحظة ..

*****

أيهما وجد أولاً البيضة أم الدجاجة ؟

ذلك السؤال المحيّر و الطريف ، القديم قدم الزمن ، البسيط في ظاهره ، لكن العميق للغاية في باطنه .. و الذي أجاب عليه أغلب البشر عبر صفحات التاريخ على الشكل التالي :

(الأنثى تحمل و تلد ، و الدجاجة هي من تضع البيضة ، إذاً فالدجاجة أتت أولاً)

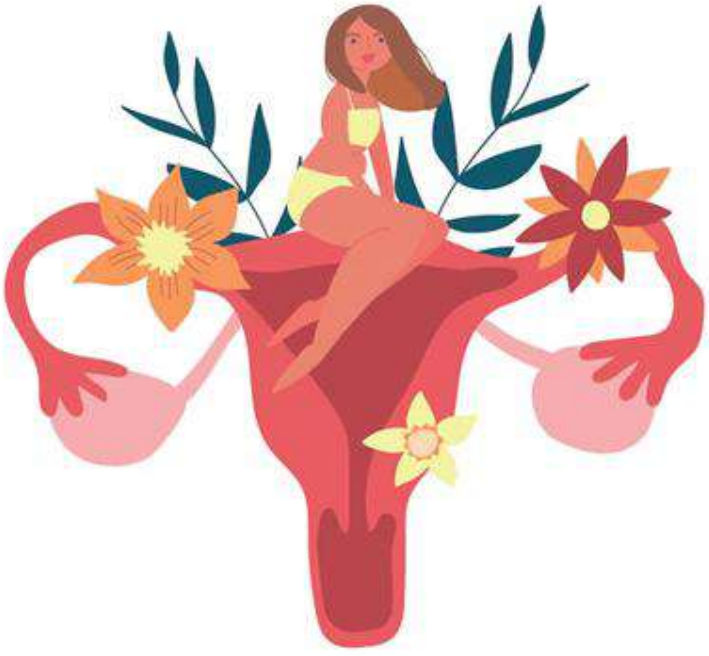

فهل هذا الجواب الشائع صحيح بالفعل ، أم أنه مجرد مغالطة أخرى تنضم إلى قافلة مغالطاتنا ؟!

لتحليل ذلك أكثر على نحو أعمق و أشمل سنلجأ إلى مقاربة مغالطتنا الأولى في هذا الكتاب المتواضع و التي تحمل عنوان (**sos**) من **3** زوايا شيقة و هامة :

① **البيضة و نشوء الحياة** ..

② **البيضة ذكر أم أنثى** ..

③ **دلائل من الطبيعة عن الأصل** ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نحتضن بيضة مغالطتنا بدفء و حنان حتى تفقس و تخرج منها الحقيقة المغيبة القابعة في أحشائها أمام أعين الجميع ..

❁ البيضة و نشوء الحياة :

نستهل هذا البند بسؤال بسيط لكن مهم للغاية :

(من أتى أولاً إلى هذا الكون الجماد أم الكائنات الحية ؟)

بالطبع الجواب البديهي على هذا السؤال هو أن المادة تكونت قبل الحياة ، بدءاً من العناصر دون الذرية إلى

الذرات ثم العناصر فالجزيئات انتهاءً بالمواد جميعها .. لتأتي بعد هذه العملية عملية تطورية أخرى بنشوء الحياة ، و في الحقيقة نشوء أول شكل من أشكال الحياة (الخلية) التي تقوم بعملية تنفس ، تم بسبب وجود بيئة كيميائية مناسبة حاضنة محيطة بها تفاعلت معها فحرضتها على القيام بعملية التنفس تلك ..

و هذا بالضبط هو جوهر عملية تكون البيضة و الجنين بداخلها ، فالبيضة عبارة عن مواد كيميائية مغذية و حافظة تحيط بالكائن الحي و تتفاعل معه كي ينمو و يتطور حتى يكتمل و يستقل بنفسه عن البيضة .. و هذا ما ينطبق أيضاً على مفهوم **الرحم** الأشمل الذي يحيط بالحياة ، بمعنى أنّ الجماد أو المادة أتت أولاً ثم كونت بيئة مناسبة لتطور الكائنات الحية لاحقاً ، بمعنى آخر :

(في البدء كانت البيضة)

❁ البيضة ذكر أم أنثى:

في التركيب الصبغي للأحياء خير دليل علمي و إشارة إلهية مخفية لكن صريحة بآنٍ معاً إلى أن البيضة أتت بالفعل قبل الدجاجة .. فالذكر في الطبيعة من حولنا يحمل صبغياً جنسياً ذكرياً و آخر أنثوياً XY ، بمعنى أنه يستطيع أن يلعب دور الأب و الأم عند الضرورة أي أن يخلق الحياة بنفسه و بشكل مستقل عن الأنثى ، أما الأنثى فلا تحمل سوى صبغي جسدي أنثوي X بمعنى أنها بحاجة للذكر كي تنجب حياةً ، لذلك نجد أن حواء خلقت من ضلع آدم و ليس العكس ، أي لم تخلق حواء أولاً ثم أنجبت آدم ، و في هذا أكبر عظة و خير دليل على أنّ آدم بصيغته الصبغية XY مكتفٍ بذاته و قادر على الخلق و الإنجاب ، أما حواء XX فلا يمكنها ذلك

و هذه إشارة صريحة إلى أن الترتيب الصحيح للعملية هو(**ذكر تليه أنثى**) أو بمعنى آخر بيضة ثم دجاجة ، فالبيضة في الواقع ذكر XY و الدجاجة أنثى XX.. لذا لا عجب أن يوصف الرحم الشكل الآخر للبيضة بذي القرنين أي يحمل X و Y معاً !!..

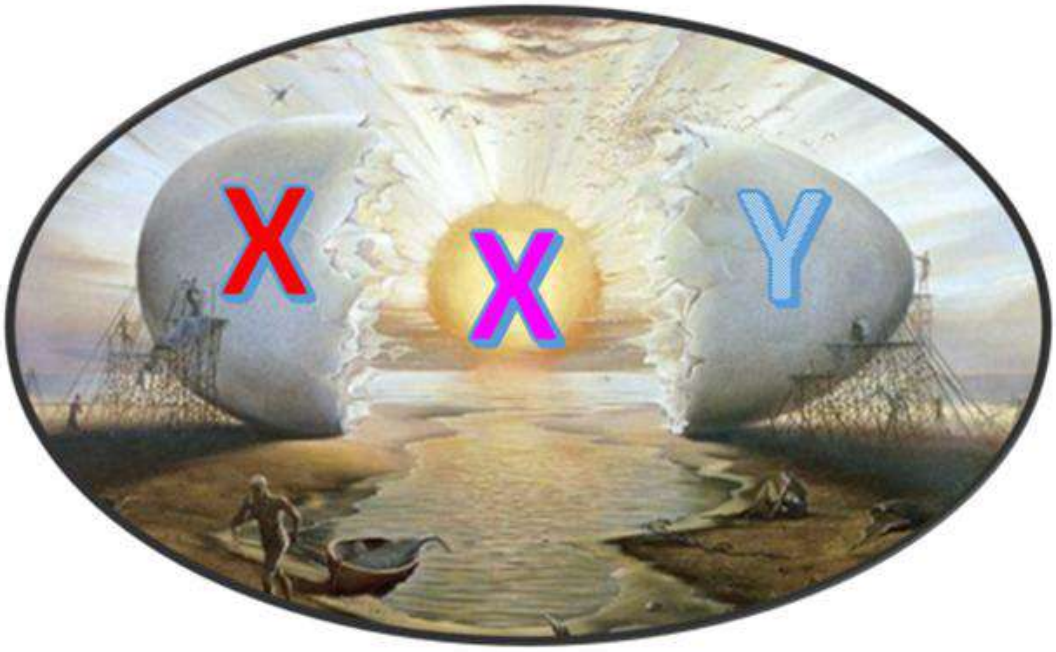

والبيضة لوحدها تكفي لصنع دجاجة فهي تمثل عائلة كاملة من أب و أم بما تؤمنه من بيئة حاضنة و مغذية للجنين الدجاجة، أما الدجاجة فلا يمكنها صنع بيضة قابلة للحياة إلا بوجود الديك الذكر الذي هو الصورة الأخرى للبيضة .. و ما سميت البيضة بهذا الاسم إلا بسبب لونها الأبيض الذي يتشعب كعائلة مكونة من ألوان الطيف كلها التي تزين الديك حرفياً على أرض الواقع كما تزين الألوان بيض الفصح .. بمعنى أنه لا

وجود للدجاجة بدون وجود البيضة بكل تأكيد ، فالبيضة صبغياً أتت أولاً أيضاً ثم خُلقت الدجاجة من ضلع الديك البيضة ، صحيح أن الديك لا يبيض ، لكنه هو بنفسه يمثّل البيضة ..!!

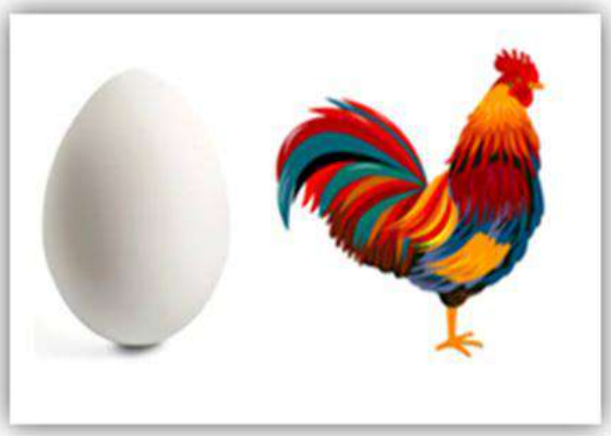

فالبيضة **XY** أشبه بقمر و شمس تحتضنان الجنين بداخلها و تتناوبان على تغذيتها و حمايتها .. لذا لا عجب أن نجد أسماء مذكرة و مؤنثة معاً من قبيل حمزة و قسورة و أسامة و عنترة و طلحة و مدحت و ثروت و عصمت و شوكت و رفعت و غيرها و بالطبع لا ننسى جوهر مغالطتنا (**البيضة**) ، فهي أسماء مفعمة بالرجولة ، لا هي سمراء و لا هي شقراء ، بل تمثل العائلة في شخص واحد في **الحقيقة** ، و ما الحياة سوى حركة مستمرة بين هذين القطبين (**الشمس و القمر**) على هيئة عداوة و حروب أحياناً في محاولة لأحد الطرفين بفرض نفسه على الآخر أو محبة و صداقة و سلام في أحيان أخرى كاقتناع من

الطرفين بأنهما بيضة واحدة كعائلة مكتملة !! و أياً كانت المرحلة أو أياً كان المنتصر فيها مؤقتاً (**تماماً كصراع الشرق و الغرب على كوكب الأرض**) ، فستبقى البيضة موحدة بلا انقسام و **يبقى الكوكب أرضاً بيضوية بلا انفصام !! .. فالبيضة هي الشمس و القمر .. الليل و النهار و كل الاضداد المعروفة و هذا ما يجعلها بيضة كاملة قادرة على إنجاب دجاجة دون حاجة لأحد آخر !**

❁ دلائل من الطبيعة عن الأصل :

في الطبيعة من حولنا أمثلة كثيرة للغاية تعزز حقيقة أن البيضة أتت أولاً قبل الدجاجة ، نذكر منها **5** أمثلة توضيحية :

① **الكون** : الكون برمته تكون بالأساس من بيضة وحيدة ، و ما الانفجار العظيم سوى فقس تلك البيضة و خروج العجائب الكونية منها .. لذا لا عجب أن نجد الفراعنة القدماء في عيد شم النسيم يحتفلون بالبيوض الملونة ، فهم يرمزون بها إلى الشرنقة الكونية التي خرجت منها الحياة بحسب وصفهم ، و هذا مصطلح غريب و خطير من قبلهم يجب التوقف عنده مطولاً لأنه يرتبط على نحوٍ وثيق و مفاجئ بالانفجار العظيم !!

② **الكرة الأرضية** : فهي أشبه ببيضة تحمل في أحشائها مليارات الأشكال من الحياة بما فيها البشر أنفسهم و بانتهاء قصة الحياة البشرية ستفقس هذه البيضة بدورها ليخرج البشر بذلك من الحياة الدنيا إلى

الكون الأكبر و الحياة الآخرة .. **فالأرض بقطبيها الشمالي و الجنوبي ، و جناحيها الشرق و الغرب أشبه ببيضة XY ستفقس ذات يوم لتخرج الحياة البشرية المتنوعة منها ..**

③ **البذرة و الشجرة** : فلا شك أن البذرة كالبيضة التي تحمل جينات الشجرة بداخلها هي من تكونت أولاً ثم تطورت إلى شجرة ، و ليست الشجرة موجودة كما هي على الأرض ثم أعطت البذور ..

④ **المحارة و اللؤلؤة** : فالمحارة كمادة موجودة أولاً بطبقتيها الآب و الأم **XY** ثم تتكون اللؤلؤة بداخلها ..

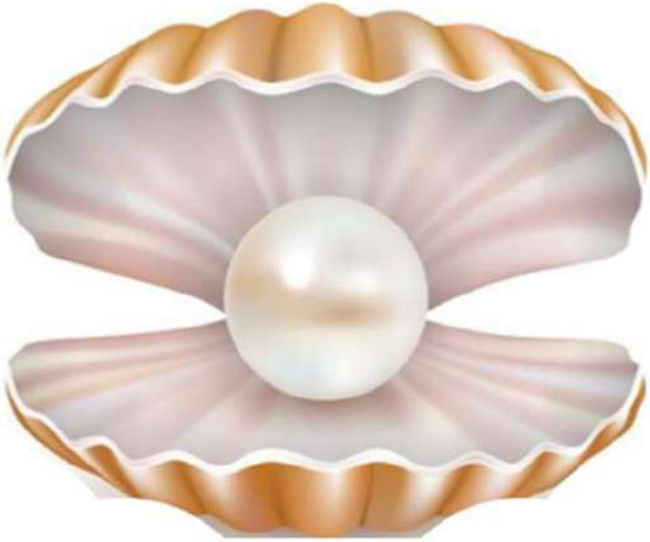

⑤ **الفراشة و الشرنقة**: فالشرنقة تحيط بالفراشة و ليست الفراشة من تصنع الشرنقة بل دودة القز التي تكافئ آدم الذي خلقت الفراشة من ضلعه !! ..

قد يصف بعض الناس جهلاً البيضة على أنها كائن مخنّث (**رغم أن هذه التهمة صبغياً تشمل جميع الذكور في العالم ضمنياً**) ، لكن في الحقيقة البيضة كائن مفعم بالرجولة لأنها قدمت للدجاجة التي في داخلها كل الحب و الحنان في قلبها و من الجانبين في بيئة مثالية للتكون و النشوء كي لا ينقصها شيء .. و لولا اتحاد الصبغيين **X** و **Y** في الذكر لما تمكن من تأمين ذلك للأنثى **X** التي خلقت من ضلعه و لما أبصرت الدجاجة النور بعد أن فقست البيضة عنها !!

فكر بها قليلاً عزيزي القارئ : باعتبار أن الأنثى هي التي تحمل و تنجب ، كان من المنطقي أن يخلق الله

حواء أولاً ثم يخلق آدم من رحمها ، لكن البارئ ارتأى

بحكمته أن يخلق آدم أولاً ثم حواء من ضلعه في إشارة مخفية لكن صريحة للغاية على أن الذكر بصيغته الصبغية الاشمل قادر على تكوين الأنثى بشكل مستقل، بمعنى أنه في البدء كانت البيضة بالفعل !!

لذا عندما تجد شخصاً أرملاً مثلاً يعتني بابنته بمفرده ، تأكد عزيزي القارئ أنه يضحي بنفسه كي يلعب دور الأب و الأم معاً في سبيل تربيتها ، و هذا اسمه رجولة لا خنوثة لمن لديه عقل يستوعب و قلب يشعر .. و هذا بالضبط هو حال البيضة في مغالطتنا..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الأولى (SOS) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الأنثى تحمل و تلد ، كما أنّ الدجاجة هي التي تبيض البيضة ، إذاً فالدجاجة أتت أولاً ..

بل أن نقول :

= تطور الحياة في هذا الكون يسلك طريقاً باتجاه وحيد (تكون المادة أولاً ثم الحياة ثانياً) .. و البيضة بتركيبها الكيميائي شكلت البيئة المناسبة لنشوء الحياة في داخلها فالبيضة أشبه بذكر XY خلقت الدجاجة الأنثى X من ضلعه ، فهو كعائلة كاملة من أب و أم معاً محيطة بها بمنتهى الحب و الحنان كقلب بجناحين ..

إنّ جمعية قرى الأطفال في العالم يرمز لها برمز SOS ، و هو رمز مميز للغاية ، إذ إنه يختصر

مغالطتنا كلها كما يختصر توجه هذه القرى التي تعتني بالأطفال المشردين بدون عوائل حول العالم ، فالرمز O يشير إلى البيضة (الأرض البيضوية) التي تحتضن هؤلاء الأطفال كأب S (الشرق) و أم S (الغرب) لتعوضهم عن الحرمان الحاصل في حياتهم ، أي كما تفعل البيضة XY مع الدجاجة على أرض الواقع بالضبط .. و لا عجب أيضاً أن نجد الرمز SOS يشير أيضاً إلى نجدة المحتاج و مساعدته ، فالبيضة هي التي تساعد الدجاجة الجنين في داخلها على التطور و الحياة بتأمين الظروف المناسبة لها بلعب دور الآب و الأم كي تبصر النور أخيراً بعد أن تفقس البيضة !!

فالبيضة الأولى التي أعطت أول دجاجة كانت ذهبية بالفعل ، فقد أبصرت الحياة برمتها النور من خلالها !!
و تذكرنا بقصة **جاك و حبات البازلاء السحرية** التي قادته إلى السماء الرحبة حيث يوجد العمالقة مع أوزتهم الغريبة التي تبيض بيوضاً ذهبية حرفياً ..

OBAMA

OXY

!! OMG

ميتافيرس الروح

(نم لقد ولدت ، استيقظ لقد متّ)

= كيف قضيت أمسيتك البارحة ؟

= ذهبت إلى السينما و شاهدت الجزء الثالث من سلسلة أفلام أفاتار ..

= و ما تقييمك للفلم ..؟!

= رائع كالجزئين الأولين و فكرة البركان تم توظيفها بإبداع ..

= أعلم أنك من أنصار هذه السلسلة ..

= بالفعل .. ان فكرة العيش في جسد آخر(أفاتار) بينما أنت نائم تستهويني .. إنها أشبه بحياتنا في هذه الدنيا كما أتوقع ، مجرد عالم افتراضي ..

= تقصد كالحلم ؟!

= بالضبط ، لكنه حلم طويل و واقعي للغاية .. نبدأ به

عندما تنام أجسادنا في العالم الآخر و نولد على الأرض و نستيقظ منه مع استيقاظ تلك الأجساد بموتنا على الأرض .. تماماً كمعنى كلمة أفاتار باللغة السنسكريتية في الفلسفة الهندوسية أي تجسد كائن علوي (ديفا) أو الإله الأعلى على كوكب الأرض ..

= إنها نظرية غريبة ، و من الصعب أن تكون حقيقية !!

= على العكس إنها النظرية الأقرب للمنطق ، عدا ذلك كيف سنتذكر في العالم الآخر الأحداث التي جرت معنا في الحياة الدنيا ؟!

= لم أفهم !!

= تعال لأوضح لك أكثر ، فأخبرك عن أشياء ستصيبك بالذهول و الدهشة بلا شك ..

*****

أغلق عزيزي القارئ عينيك و احلم معي قليلاً في هذه المغالطة الجديدة الشيقة (**ميتافيرس الروح**) ، التي سنجيب فيها على سؤالها الهام و الجوهري التالي :

(هل نحن نعيش في عالم حقيقي بالفعل ، و ما هي الروح بالضبط ؟)

و كجواب مبدئي وجيز كالعادة نقول :

(هذه الحياة الدنيا عبارة عن واقع افتراضي ، مجرد حلم طويل تحلم به أجسادنا الغافية في العالم الأُخر ، فيبدأ الحلم عندما نولد على الأرض و نستيقظ منه عندما نموت ، و هذا الحلم بالضبط هو الروح)

أعلم أنها نظرية غريبة للغاية بل أقرب للخيال العلمي ، و مهمتي خلال الصفحات التالية عزيزي القارئ هي دفعك لرؤية الحياة من زاوية أخرى مختلفة عما اعتدنا عليه ، كي نصل سوياً إلى تفسير عميق و منطقي كما آمل لهذا الجواب ، و سننجز ذلك بمقاربة مغالطتنا من 5 زوايا غاية في الأهمية :

- نظرية أفلاطون عن الوهم ..
- نبذة عن الواقع الافتراضي (ميتافيرس) ..
- مصطلح نومينون & فينومينين ..
- نظرية الدماغ في وعاء ..
- نظرية الروح هي حلم ..

فهيا بنا لنحلم قليلاً و نعيش في واقع افتراضي بعضاً من الوقت ..

① **نظرية أفلاطون عن الوهم**: في زمن الإغريق

قدّم أفلاطون تجربةً تبيّن سهولة تعريض العقل للخداع، و تنص التجربة على التالي :

(لو قمنا بإبقاء مجموعة من الناس منذ ولادتهم في غرفة صغيرة مع مجموعة من الخيالات التي تنعكس أمامهم على الحائط، ولو تكلمنا مع الناس في الغرفة من وراء الحائط فسيعتقدون أن هذه الأصوات قادمة من الأشياء التي يرونها أمامهم (الخيالات).. وبإمكانهم أيضاً أن يجزموا متأكدين من ذلك، فهم لا يعرفون شيئاً آخر في العالم غيرهم هم والخيالات التي يرونها معهم، فحدود العالم بالنسبة لهم هي هذه الغرفة الصغيرة، ولا بدّ أن تلك الأصوات آتية مما يرونه أمامهم.. بهذه الطريقة نكون قد خدعنا عقولهم بكذبة صدقوها وآمنوا بها ولم يشككوا بها قطّ ! ولكن ماذا لو كشفنا عنهم الحجاب وأخرجناهم من غرفتهم تلك إلى العالم الأكبر؟)

و العبرة من هذه التجربة أنّ كثيراً من المعتقدات التي كوّناها في حياتنا ضمن عالم المعرفة المحدود بين أيدينا مجرد وهم باطل ، فلو كُشف لنا الحجاب عن عالم أكبر من المعرفة، كما كُشف في تجربة أفلاطون، لن نبقى جازمين أن صفة اليقظة التي نطلقها على يومياتنا هي تامة ومطلقة ؟ فماذا لو كانت يقظتنا هذه مجرّد حلمٍ لواقع آخر؟

② نبذة عن الواقع الافتراضي (ميتافيرس) :

انطلاقاً من فكرتنا الأولى لنتحدث قليلاً عن الواقع

الافتراضي الذي هو ببساطة واقع وهمي يعيشه دماغ الإنسان في حالة محاكاة لواقع آخر ، كما يحدث

بالضبط عند ارتداء نظارات الواقع الافتراضي فتعيش

في دنيا تقسم أنها حقيقية لكنها في الحقيقة غير موجودة سوى في خيالك ، و ما إن تنزع النظارات حتى تعود إلى الواقع الحقيقي ، لكنك بالطبع تحتفظ بكافة الذكريات التي عشتها في تلك التجربة الفريدة .. و هذا هو مربط الفرس في مغالطتنا ..

أما تاريخ العيش في واقع افتراضي فيعود إلى عام **1935**، عندما قدم كاتب الخيال العلمي الأمريكي، **ستانلي وينباوم** نموذجاً خيالياً للواقع الافتراضي في قصة قصيرة بعنوان: (**نظارات بجماليون**) و خلال أحداث هذه القصة، التقت الشخصية الرئيسية بأستاذ جامعة اخترع زوجاً من النظارات، يمكن من خلالها الانغماس في التجارب الخيالية، باستخدام حاستي الشم

واللمس..

ثم تطورت تقنيات الواقع الافتراضي عبر السنوات اللاحقة حتى عام **2010** عندما قدمت جوجل وضعاً ثلاثي الأبعاد مجسماً لخدمة التجول الافتراضي ، وفي نفس العام، ابتكر الأمريكي **بالمر لوكي** ، وهو رجل أعمال يبلغ من العمر **18** عاماً، أول نموذج أولي لنظارات رأس تقدم خدمة الواقع الافتراضي ، و قد تميز هذا النموذج بمجال رؤية **90** درجة لم يسبق له مثيل من قبل، ويعتمد على قوة معالجة الكمبيوتر للصور.. ساهم هذا التطور في تعزيز الاهتمام بالواقع الافتراضي أكثر بعد ذلك ..

③ مصطلح نومينون & فينومينين :

نومينون هو مصطلح يشير إلى كل شيء غير مدرك بالعقل و غالباً يشار بها إلى كل شيء غير مرئي بالتحديد ، كالروح طبعاً و الجن و الأشباح و غيرها من الماورائيات ..

أما **الفينومينين** فمصطلح معاكس يشير إلى كل شيء محسوس بالعقل .. و سنعود إلى هذين المصطلحين بعد قليل ..

④ نظرية الدماغ في وعاء :

نظرية غريبة للغاية تقول ببساطة : لو أن دماغك فصل

عن جسدك و وضع في محلول مغذي ، ثم وصل مع كمبيوتر فائق التطور يقوم بتنشيط باحات دماغك بنبضات خاصة مدروسة كي يمنحك أحاسيس مزيفة لكنك تشعر بها كواقعية ، فترى أشياءً و تسمع أصواتاً و تلمس أشياءً أخرى ، كما تشم روائح و تشعر بمذاقات مختلفة و هكذا .. فهل دماغك حينئذ سيفهم هذه الأمور كأوامر من الحاسوب أم أنه سيؤمن بأن هذا الواقع الذي يعيشه حقيقة فعلياً ؟! هذه مفارقة علمية عجيبة للغاية تستحق التفكير مطولاً !!

تعود نظرية الدماغ في وعاء باسمها إلى الفيلسوف الأمريكي **هيلاري بوتنام** في كتابه (السبب و الحقيقة و التاريخ) الصادر عام **1981** ، لكن جذور الفكرة تعود لأقدم من ذلك، ففي القرن **17** استحضر الفيلسوف الفرنسي **رينيه ديكارت** فكرة **الجني السيء** الذي يحاول خداعه و ايهامه بأنّ كل ما يجري حوله في العالم

الخارجي هو حقيقة واقعية .. و كان يهدف ديكارت من هذه الفكرة إلى إعادة بناء المعرفة البشرية على أسس ثابتة متبنياً في ذلك (**مبدأ الشك**) ، فبعدما أشار إلى انعدام موثوقية حواسنا و الارتباك الناتج عن الأحلام ، قام بنبذ كل المعارف والمسلّمات حتى تلك التي حملت نسبة ضئيلة من الشك ، بل إنّ ديكارت دفع بمبدأ الشك إلى الحد الأقصى ، فنجده يقول في كتابه (**تأملات في الفلسفة الأولى**) :

(سأفترض إذن .... أنّ جنياً سيئاً، قد استعمل كل ما أوتي من حنكة لتضليلي. وسأفترض أن السماء، والهواء، والأرض، والألوان، والأشكال، والأصوات، وسائر الأشياء الخارجية التي نراها، ليست إلاّ أوهاماً وخيالات، يلجأ إليها الشيطان كي يقنعني بواقعيتها)

و رغم أن هذه الفرضية بظاهرها باطلة بشكل بديهي ،لكنها صحيحة للغاية في باطنها كما سنرى بعد قليل .. و لقد تطرق **فلم ماتريكس** الشهير لهذه الفكرة بدوره ،

حين يكتشف أحد قراصنة الحاسوب و هو (**نيو**) أنّ العالم عام **1999** ليس إلاّ محاكاة افتراضية للواقع صُمّمت بواسطة جهاز استخبارات إلكترونية ، و أنه وبقية الناس تم وضعهم في قوالب مليئة بالسوائل المغذية متصلين سلكياً بجهاز حاسوب..

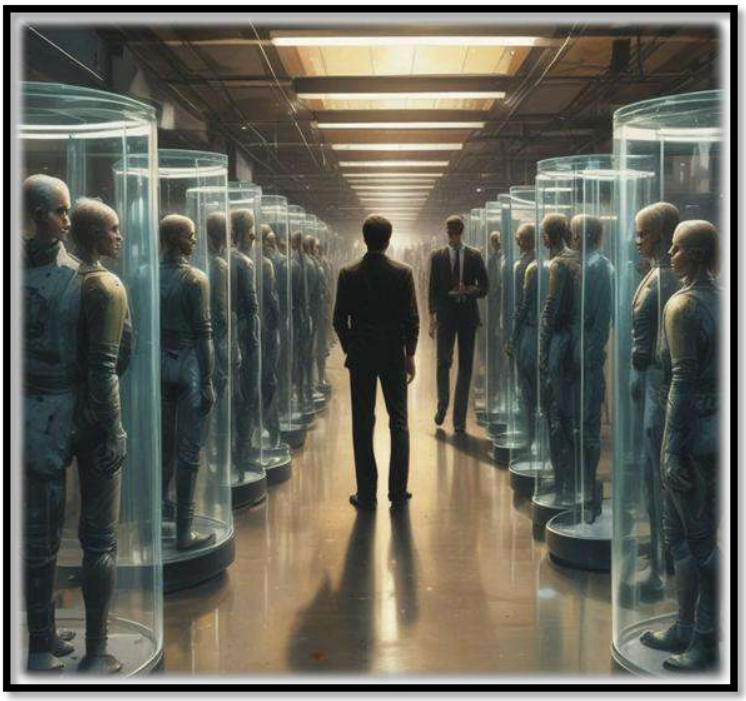

و هذا أيضا يتقاطع مع جوهر فكرة فلم أفاتار الذي تطرقنا إليه في مطلع مغالطتنا ..

و قبل مدة ليست بالبعيدة اقترح الفيلسوف السويدي **نـك بوستروم** أن هناك احتمالاً كبيراً أننا نعيش في هذا الكون ضمن برنامج محاكاة على أرض الواقع فعلياً ، و هذا له ما يبرره بقوة كما سنرى بعد قليل **!!**

فهل كل هذه النظريات (**الدماغ في وعاء ، الجني الشرير ، الماتريكس و الأفاتار**) هي مجرد تخيلات علمية لا غير ، أم أنها تعبير حقيقي لوصف الكون

الذي نعيش فيه ؟! و إن كانت كذلك كيف يحدث ذلك ؟ هذا يقودنا إلى المحور التالي الأهم في مغالطتنا ..

⑤ نظرية الروح هي حلم :

نستهل هذه النقطة بسؤال بسيط لكن هام للغاية :

(نعيش على هذه الأرض ضمن أجساد مادية تختزن في أدمغتها ذكرياتنا كلها من الأحداث التي عشناها و نعيشها ، لكن ما مصير هذه الذكريات بعد أن نموت و تتحلل أدمغتنا إلى تراب ؟! هل تذهب إلى العدم كأنها لم تكن بحكم أن الأفكار ليست مادية لتبقى ؟!)

في الحقيقية وفق تصوري الشخصي للروح و العالم الآخر ، الجواب على هذا السؤال يكمن في العالم الآخر ، فهناك أجسادنا السماوية - أياً كانت بنيتها - هي متصلة لاسلكياً بأدمغة أجسادنا الأرضية بتقنية ما، و في اللحظة التي نولد فيها على الأرض أي يكتمل فيها تكويننا الأرضي { **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي** } تبدأ أجسادنا في السماء { **النشأة الآخرة** } بالحلم حيث تشاهد تفاصيل حياتنا الأرضية ثانية بثانية و تسجلها ، و متى ما انتهت حياتنا على الأرض سنستيقظ من ذلك الحلم و أجسادنا السماوية تحتفظ بتلك التفاصيل كلها ، تماماً كما لو كانت أجسادنا السماوية ترتدي نظارات الواقع الافتراضي خلال حياتنا الدنيوية ثم نزعتها لحظة موتنا، بمعنى أن الروح (**نومينون**)

كمادة لاوجود لها عزيزي القارئ تماماً كالأفكار و الأحلام و غير محسوسة بالعقل حرفياً ، و ليست سوى الذكريات و التفاصيل التي نراها في ذلك الحلم ، و ما **الاتصال** بين الجسدين السماوي و الأرضي عند أول نفس لك في الحياة سوى **نفخ الروح** في الأجساد ، و ما الاستيقاظ من الحلم سوى **خروج للروح** من الجسد **بانقطاع الاتصال** ..

و يمثل الكون الأصغر الذي نعيش فيه عالماً افتراضياً **(ميتافيرس للروح)** مبرمجاً كي تعيش فيه أجسادنا

الأرضية الوهمية التي ستذهب إلى العدم بعد موتنا ، لتتابع أجسادنا السماوية مسيرة حياتنا في دار البقاء الآخرة بذكريات أجسادنا الأرضية كلها ..

أما نظرية الروح كمادة غير مرئية مبهمة توجد داخل الأجساد البشرية تخرج منها عند الموت لتصعد إلى السماء فهي تشبيه مبسط للبشر في أزمنة غابرة يتماشى مع معرفتهم وقتها و قدرتهم على الفهم و الاستيعاب .. فهل كان بإمكان البشر في ذلك الوقت أن يستوعبوا مفهوم الواقع الافتراضي أو الدماغ في وعاء مثلاً بحكم تأخر التكنولوجيا و غياب أجهزتها لديهم؟! بالطبع لا.. فمثلاً السماء في القرآن بناها الله بأيديه ، و الجنة فيها مغريات مادية شبيهة بالدنيا كالطعام و الشراب و حتى الجنس، و غير ذلك من تشبيهات مستوحاة من حياة البشر لتقريب الصورة إلى أذهانهم ، لكن مع تقدم العلوم نبدأ نفهم كل شيء بصورة جديدة علمية منطقية .. أي ببساطة يزول وهم أفلاطون الذي تحدثنا عنه منذ قليل

يقال أننا عندما نحلم في نومنا في هذه الدنيا أنّ الروح هي التي تحلم ، و في الحقيقة هذه الأحلام هي الروح نفسها حرفياً ، لأن هذه الأحلام ببساطة هي نقطة اتصال حقيقي صرف بين الجسد السماوي و الجسد الأرضي (**زوج من الفينومينين**) بدون عائق مادي مشتت بينهما ، بمعنى أنهما يتحدان في كيان واحد حالم خلال الأحلام (**الروح أو النومينون**) التي هي صلة الوصل بين الجسدين (الجسدان يحلمان في آنٍ معاً)..

و من وحي توجهي الطبي في الحياة يمكن تشبيه الحياة الدنيا بتجربة **اضطراب سلوك نوم الريم** التي يقوم خلالها النائم بتمثيل أحلامه، و هذا تشبيه مثالي فأجسادنا الأرضية تقوم ببساطة بتمثيل أحلام أجسادنا السماوية .. و هناك في الطب مفهوم آخر أيضاً يدعى **بالحلم الواعي (لوسيد دريم)** ، هو حلم يدرك فيه النائم أثناء نومه أنه يحلم، وقد يبدأ بالتدخل في حلمه والتأثير فيه تماماً كأحداث فلم **inception** الشهير .. في هذا النوع من الحلم يكون النائم واعياً بمشاعره وأحاسيسه، وفي الوقت ذاته يكون واعياً أنه يحلم.. و في دراسة نشرت عام **2016**، فإن **55%** من البشر عايشوا الحلم الواعي لمرة واحدة على الأقل في حياتهم. بينما يختبر **23%** من البشر الحلم الواعي مرة على الأقل في الشهر.. يحدث مثلاً أن ترى في الحلم أنك في غابة ثم تجد نفسك فجأة تطعم الديناصورات بيدك ،

عندها وأثناء نومك، تدرك أنك تحلم، وقد تتابع في حلمك أو تستيقظ، و هذا هو بالضبط ما أحاول إيصاله لك عزيزي القارئ أن تفهم أن حياتك كلها مجرد حلم يراود جسدك السماوي و أنت قادر على التلاعب بهذا الحلم ..

و في الحقيقة هنالك ما هو أكثر من ذلك، من سيحشر يوم القيامة ليست أجسادنا الأرضية التي تحللت بموتنا بل أجسادنا السماوية التي تحمل إرثنا الأرضي كاملاً مع مؤهلات أكبر من ذلك بكثير، و ما قيام الساعة سوى رنة منبه الساعة (نفخ الصور) التي ستستيقظ معها جميع الأجساد السماوية معاً في لحظة واحدة .. و هذا هو بالضبط التفسير المنطقي لتسمية يوم القيامة

بالساعة !!

كذلك الأمر في حالات تناسخ الأرواح يتم وصل جسد سماوي واحد بعدة أجساد أرضية فيحمل ذكرياتها كلها.

و الحقيقة الأغرب و الأهم في الموضوع كله هي أنّ الجنة (**الكون الأكبر**) بحد ذاتها قائمة على مبدأ العالم الافتراضي أو الدماغ في الوعاء ، حيث أنك ببساطة قادر على الانتقال إلى أي عالم تشاء و العيش فيه **و أنت في مكانك** .. و الأهم أنك ستعيشه كحقيقة لا تقبل الشك بسبب دقة التفاصيل كما هو حال كوننا الذي نعيش فيه الآن بالضبط و الأجمل في القصة أنك **و إن تأذيت في تجاربك الافتراضية تلك ، فإن جسدك السماوي سيبقى سليماً بلا أي ضرر ..**

و كاختصار لكل ما سبق : أجسادنا السماوية عبارة عن

(**دماغ في وعاء**) و متصل بحاسوب (يملي علينا أحلامنا و بالتالي تفاصيل حياتنا الأرضية) و نحن في هذه الدنيا (**الماتريكس**) عبارة عن أجساد أرضية (**أفاتار**) نقوم بترجمة تلك الأحلام الموجودة على ذلك الحاسوب و في أجسادنا السماوية كحقيقة مادية مجسّدة أمامنا و أمامها .. لتتكامل هذه النظريات جميعاً في نظرية واحدة مشتركة و هي نظرية (**الروح النومينون الحلم**) التي تنفخ في أجسادنا الأرضية كحلم لحظة نومنا في العالم الآخر و ولادتنا في الدنيا ، و تخرج منها لحظة استيقاظنا في العالم الآخر و موتنا في الدنيا ..

أي أنك في حياتك الدنيوية أشبه بمصباح في سقف غرفة ، عندما ينام جسدك السماوي بولادتك يتم ضغط زر التشغيل فتصلك الكهرباء لتضيء و تشع حياةً ، و عندما يستيقظ جسدك السماوي يُضغط الزر ثانيةً لتنطفئ حياتك على الأرض و تموت..

لذا احذر عزيزي القارئ من أفعال **أفاتارك** في حلمك الطويل القصير ضمن (**حياتك الدنيوية الماتريكس**) فلا تدري في أي لحظة سيستيقظ جسدك السماوي من غفوته برنة منبه الساعة الموقوت عندما تنتهي قصة حلمك على الحاسوب الخاص بك فتموت على حين غرة و لا يبقى لك من حياتك على الأرض سوى عواقب أحلامك تلك فإما أن تكون كوابيساً أو أحلاماً سعيدة ، و القرار قرارك ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الغريبة الجديدة (**ميتافيرس الروح**) من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أخشى تجربة الموت ، فخروج الروح من الجسد عملية مجهولة و يقال أنها مؤلمة ..

بل أن نقول :

= الحياة مجرد حلم قصير يعيشه جسدنا السماوي ، يبدأ بولادتنا (نفخ الروح/النوم) و ينتهي بوفاتنا (خروج الروح/الاستيقاظ) ، فهل سبق لك أن استيقظت من حلمك بصعوبة .. اللهم إلا إن كان كابوساً ، و ما الكابوس الحقيقي سوى سوء الأفعال في ذلك الحلم (الحياة الدنيا) .. أما من صح فكره و قوله و فعله فسيعيش أحلاماً سعيدة يستيقظ منها مرتاحاً

، راضياً و سعيداً .. أما عن ألم الموت ، فصدقني أن الموت لا يختلف أبداً عن شعورك عندما تنام أو تخضع لتجربة التخدير ، مجرد غياب للوعي خلال أجزاء من الثانية !!

الحياة الدنيا مجرد لعبة على حاسوب كوني عملاق ، لكنها ليست لعبة للترفيه البحت، بل لعبة لبناء الإنسان لا تخلو من المتعة .. لعبة برمجتها السماء بعبقرية لا يشق لها غبار .. !! أما ألعاب الترفيه البحت فستكون في جنان الله بعد أن أصبحت إنساناً حقيقياً ،حيث هنالك دنيا واسعة من العوالم الافتراضية التي لا تنتهي بانتظارك !! ..

المتوالية الهندسية

(أنا و الساعة كهاتين)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= معلومات عن ملكة مصر كليوبترا بعضها غريب للغاية !

= أثرت فضولي ، مثل ماذا ؟

= السؤال التالي على سبيل المثال : أيهما أقرب إلى الفترة التي عاشت فيها كليوبترا ، بناء الأهرامات أم الهبوط على القمر ؟

= و هل هذا يحتاج السؤال ؟! كليوبترا من مصر القديمة التي بنيت فيها الأهرامات أما الهبوط على القمر كما يدعي الأمريكيون فقد تم منذ بضعة عقود !

= إطلاقاً يا صديقي .. كليوبترا عاشت في القرن **1** قبل الميلاد ، أما بناء الأهرامات فتم حوال **2500** قبل الميلاد ، و الهبوط المزعوم على القمر تم عام **1969** ميلادي ، أي أنه بحسبة بسيطة أقرب إلى كليوبترا ..

= مذهل بحق !

= بلى ، لكنّ المذهل أكثر أن الحضارة الفرعونية هي من أقدم الحضارات البشرية و عمرها قصير رغم ذلك ، فبناء الأهرامات تم منذ **3500** سنة فقط بحسب العلم .. أي أن عمر البشرية كما نعهدها الآن لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين لا غير !

= معك حق .. حقيقة تفجر العقل .. و تقودنا إلى سؤال آخر غريب و محيّر .. كم يا ترى مضى من السنون منذ أبي البشر آدم حتى يومنا هذا ؟

= سؤال هام و خطير .. هل يمكن لأي إنسان الإجابة عليه ؟

*****

من رحم هذا النقاش المثير و الغريب بين شابين جامعيين حول ما مضى من سنوات على البشرية فوق كوكب الأرض ، تولد مغالطتنا الجديدة المثيرة بدورها (**المتوالية الهندسية**) مع سؤالها الخطير و الحساس :

(هل يمكن بالفعل تحديد الفترة الزمنية التي مضت على وجه الأرض منذ هبوط آدم و حواء من الجنة إلى زمننا الراهن ، و كيف سنتكهّن بمقدار هذه الفترة ؟)

و الجواب المثير و الغريب عليه و الذي ربما سيفاجئك عزيزي القارئ هو :

(بالفعل ، يمكننا تقدير هذه الفترة ، ليس ذلك فحسب ، بل يمكننا أيضا التكهّن بالفترة الزمنية المتبقية للحياة البشرية على سطح كوكبنا العزيز الأرض ، و ذلك بناءً على بعض المعلومات التي وصلتنا من الكتب السماوية و من الأحاديث النبوية الشريفة ، إضافة إلى بعض التلميحات العلمية المنطقية بدون أدنى شك !)

فهيا بنا عزيزي القارئ نوضّح هذا الجواب الجريء بتفصيل أكثر عبر مقاربة مغالطتنا الجديدة من زاويتين شيقتين ، علمية و دينية و نقاطع الخطوط مع بعضها لنصل إلى نتيجة كافية و واضحة في هذا الصدد ..

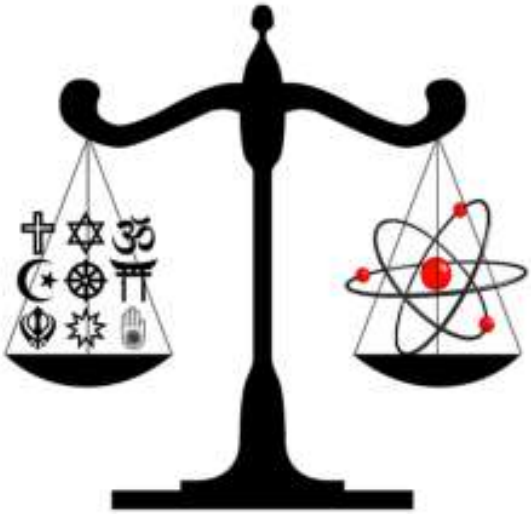

أولاً ، الزاوية العلمية :

و هي كما تتوقع عزيزي القارئ فقيرة بالأدلة الدامغة و البراهين التي لا تقبل الشك ، فلا وجود لأي وسيلة علمية حتى الآن لتقدير الفترة الزمنية لحياة البشر على الأرض و بالتحديد منذ بدء التكليف الإلهي مع سيدنا آدم .. فهي حقيقة

غيبية لا يعلمها إلا الله و بالتالي لا يمكن التكهن بها إلا

بالاعتماد على كلامه المنزّل في الكتب السماوية أو بكلام رسله و أنبيائه المعصومين الذين ينهلون مباشرة من النبع الإلهي فالعلم ربما يخبرنا بسهولة أن أقدم كائن بشري مشى على قدمين بوجه مسطح هو هيكل لوسي العظمي الذي اكتشف شمال شرق أثيوبيا عام **1974**

م و الذي يعود لأكثر من **3** ملايين عام، لكنه هيكل يعود لكائن بدائي صنيعة التطور و غير مكلف ..

أما منذ متى هبط آدم من الجنة إلى الأرض أو كم تبقى للحياة البشرية على الأرض من وقت فموضوع آخر يصعب التكّهن به علمياً ! .. و لكن ..

هنالك بعض الأدلة العلمية التي توحي بأن ما تبقى من حياة البشرية على سطح الأرض ليس بفترة طويلة ، و سنكتفي منها بذكر أهم ثلاثة :

① **تطور العلم و التكنولوجيا عبر متوالية هندسية** :

و المتوالية الهندسية رياضياً هي متوالية تتسع بشكل متسارع ، على سبيل المثال .. **2** ، **4** ، **16** ، **256** ، **65536** ،.... و هو حال التطور العلمي للبشرية بالفعل .. و لتوضيح هذا المفهوم تعالوا نقارب هذا التطور بالتواريخ .. فمثلاً **الثورة العلمية** بدأت منذ زمن قريب نسبياً في القرن **17** ، و **الثورة الصناعية** في القرن **18** و **الثورة التكنولوجية** في القرن **20** و **علوم الفلك و الفضاء** منذ عقود قليلة خلت ..

أي أن العلم الحديث كما نعرفه اليوم ولد منذ قرنين إلى ثلاثة لا أكثر و كأنه كان في حالة سبات لآلاف السنين ثم بدأ يستيقظ منها تدريجياً ليهرول مسرعاً على درب التطور!!

تخيل معي قليلاً أنّ **تلسكوب هابل** الذي أنشئ عام

1990 م هو أول من أخبرنا بمحتويات الكون خارج نظامنا الشمسي ، في حين كانت معلوماتنا قبله مقتصرة على المجموعة الشمسية و بمحاولات خجولة لا غير .. كذلك الأمر **أول حاسوب رقمي** مبرمج صمم عام **1948** م تحت اسم (**الطفل**) و كان يحتل حيزاً كبيراً من المكان وبإمكانيات خجولة بدوره .. في حين بعد عقود قليلة من ذلك أصبح لدينا هواتف محمولة تحمل إمكانيات حاسوبية هائلة مقارنة به .. و غيرها من الأمثلة .. أي كخلاصة ، تطور العلم منذ بدء الخليقة و حتى اليوم ينحو منحاً شبيهاً بمتوالية هندسية تتسع بتسارع رهيب .. مما يمكننا من التكهن ببساطة أن أسرار العلوم الواسعة و الكون الشاسع ممكن أن تتكشف لنا خلال عقود قليلة تالية أيضاً.. مما يعني من زاوية أخرى أن ما تبقى من عمر البشرية ليس بكثير أيضاً قبل أن نتم اكتشافنا للعلوم و الكون ..

② **التطور الهائل على الصعيد العسكري** : و

اختراع أسلحة دمار شامل كفيلة بإنهاء البشرية في غمضة عين كالأسلحة النووية و الهيدروجينية و البيولوجية و غيرها كثير أخطر و أكثر فتكاً .. مما يعيد إلى الأذهان فكرة معركة الرب الكبرى و الأخيرة (**هرمجدون**) في نهاية الحياة و التي ستفني أغلب البشرية كما أخبرتنا بعض النصوص الدينية القديمة ..

فما كان مجرد أساطير و تكهنات خيالية غير قابلة للتنفيذ على أرض الواقع منذ قرون ، بات قريباً للغاية على عتبات أبواب المستقبل ..

③ **ثقب الأوزون الخطير و التقلبات المناخية الحادة** :

التي وبحسب توقعات العلماء ستؤدي خلال وقت قصير قياسي إلى ذوبان الجبال الجليدية في القطبين و ارتفاع منسوب مياه المحيطات لتذهب بدول كاملة ، أو العودة بالأرض إلى عصر جليدي جديد يسبب زوال قارات بكاملها ..

و كخلاصة لزاويتنا الأولى العلمية فإنّ تطور العلوم كمتوالية هندسية متسارعة و الإمكانيات العسكرية المهولة التي ممكن أن تفني البشرية و تدمر الكوكب

إضافةً إلى المشاكل المناخية الكارثية التي ممكن أن تنهي الحياة على الأرض ، كل هذه العناصر التي لم تكن متوفرة منذ زمن توحي بشكل كبير إلى أنّ ما تبقى أمامنا من سنوات نعيشها على كوكبنا ليس بكثير ، و الله أعلم !

ثانياً ، الزاوية الدينية :

و هي دسمة للغاية بالأدلة التي تجيب بالفعل على سؤال مغالطتنا حول فترة الحياة البشرية بوضوح ،و سنقارب هذه الزاوية عبر ثلاث نقاط أيضاً :

- محمد رسول الإسلام هو خاتم الأنبياء و المرسلين ، و بالفعل ما من أحدٍ بعده ادعى النبوة ببراهين دامغة ، و هذا بحد ذاته إشارة سماوية إلى أن ما تبقى من حياة البشر ليس بكثير و إلا كان من البديهي أن يستمر إرسال الأنبياء كحاجة و ضرورة ملحة في حال كان أمام البشرية متسع من الوقت قبل القيامة ، و مما يعزز هذه الفرضية هو حديث منسوب للرسول محمد يقول فيه :

(بعثت أنا و الساعة كهاتين)

حيث أشار إلى إصبعين متجاورين في يده في إشارة واضحة منه إلى أن قيام الساعة ليس ببعيد عن بعثته ..

❁ قول الله تعالى في القرآن الكريم :

(و إنّ يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدون)

أي أن كل **1000** سنة بشرية تعادل يوماً إلهياً ، بتعبير آخر مضى حتى الآن يومان إلهيان و دخلنا في اليوم الثالث منذ ميلاد السيد المسيح أي **2025** سنة بشرية .. لكن كم يوماً إلهياً مضى منذ هبوط آدم حتى ولادة المسيح ؟

للإجابة على هذا السؤال سنستعين **بتسلسل آشر الزمني** الذي وضع في القرن **17** عبر قراءة دقيقة و مدروسة للعهد القديم و أعمار الأنبياء فيه من قبل **جيمس أشر**، رئيس أساقفة **أرماغ** و رئيس أساقفة كل **أيرلندا** .. حيث توصل آشر إلى أن الفترة الزمنية بين آدم و يسوع بنا على تلك الأعمارهو تقريباً **4000** سنة أرضية أي **4** أيام إلهية .. بمعنى آخر مضى على البشر منذ أدم حتى اللحظة **6** أيام إلهية كاملة و دخلنا في اليوم السابع

❁ النقطة الثالثة و الأخيرة ، الخطيرة و المثيرة و هي صلب موضوع مغالطتنا :

(هل فترة الحياة البشرية على كوكب الأرض هي أسبوع إلهي 7000 سنة بشرية ؟)

و للإجابة على هذه النقطة الحساسة من منظور ديني

سنعتمد على **3** أدلة :

① **الأول** : حديث منسوب للرسول محمد رواه عبد الله بن عباس يقول فيه :

(الدنيا جمعة من جمع الآخرة .. سبعة آلاف سنة)

و في هذا الحديث إشارة صريحة لفترة الحياة البشرية كما نتوقعها و تنسجم و تتلاءم مع ما سبق من أدلة علمية ودينية ..

فلا يخفى على أحدٍ منا ، أنه كان بإمكان الحديث أن يشير إلى أي فترة زمنية أخرى أو أن لا يشير إليها من الأساس ، لا سيما بغياب أي أحاديث أخرى تشير إلى خلاف ذلك ؟!

② **الثاني** : مقولة انتشرت منذ مئات السنين البعض ردها إلى المتنبئ الفرنسي الشهير نوستراداموس و البعض الآخر إلى الرسول محمد و آخرين إلى الإمام علي و تقول :

(تؤلف و لا تؤلفان)

و أغلب الدراسات أشارت إلى أن هذه المقولة تشير إلى التاريخ الهجري الذي تجاوز **1000** سنة بالفعل و تقول أنه لن يؤلف ثانيةً ، أي أنّ الحياة ستنتهي في اليوم الإلهي السابع الأخير في الدنيا الذي نعيشه الآن كما نتوقع بالضبط **!!**

③ **الثالث** : اليوم الآخر الذي ذكر في مناسبات كثيرة في القرآن الكريم و يقصد به الحياة بعد الموت ، أي اليوم الإلهي الثامن في العالم الآخر اللانهائي و الذي يتلو أيام الحياة الدنيا الإلهية السبعة ، و يمكننا ببساطة أن نلاحظ أن رقم **8** يشير إلى رمز اللانهاية الأبدي الذي لا ينتهي و لا أيام بعده ، أي اليوم الآخر بالفعل ! كما قال تعالى في قرآنه الكريم :

(البرّ من آمن بالله و اليوم الآخر)

بجمع كل هذه الدلائل العلمية و الدينية سوياً يمكننا أن توقع إلى درجة كبيرة بأن ما بقي من أيامنا على هذه الأرض ليس بكثير أي أن الحياة البشرية هي مجرد أيام إلهية معدودات ..

و بأنّ الساعة ربما تقوم بالفعل في اليوم الإلهي السابع الذي نعيشه الآن ، لتصدق جميع الآيات و الأحاديث الدينية التي ذكرناها آنفاً ..

ربما كان رقم **7** ساحراً أكثر مما نتوقع ، كعدد الأيام الإلهية التي خلق فيها الله الكون و عدد السموات و طبقات الأرض و ألوان الطيف الضوئي و مرات الطواف حول الكعبة و عدد عجائب الدنيا و عدد محيطات الأرض و قاراتها .. و اللائحة تطول لتشمل ربما أخيراً عدد الأيام الإلهية في الدنيا قبل الانتقال إلى

اليوم الآخر الثامن **8** اللانهائي بعد القيامة و الحساب في الدار الآخرة **!**

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطة (**المتوالية الهندسية**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الدنيا أبدية و خالدة من مبدأ إلحادي .. أو في أحسن الأحوال لا تزال الساعة بعيدة فيها من قناعة دينية ، لذا أمامنا متسع من الوقت للتوبة و العمل الصالح ..

بل أن نقول :

= ربما كانت الدنيا أقصر مما نتخيل و الساعة تطلّ برأسها على العتبات .. فيأخذنا الموت و الحساب على حين غرّة ،لذا علينا استثمار كل ثانية منها في الترويج للأخلاق و صالح الأعمال .. فمنذ قرون كان البشر

ينتقلون من منطقة لأخرى على الجمال خلال أشهر طويلة .. أما اليوم فينتقل الإنسان بين قارات العالم خلال ساعات قليلة بالطائرة فالعلم يتطور بمتوالية هندسية تجعل كل عام بدائي مقارنة بالعام الذي يليه و ربما خلال عقود قليلة سيتمكن الإنسان من اختراع تقنية للانتقال الآني من مكان لآخر .. فالزمن يمضي بتسارع رهيب في الإنجاز على نحوٍ يوحي إلينا بقوة بأنه يسابق نفسه للبوح بأسراره العلمية و الكونية قبل النهاية و قيام الساعة ..

إنّ كل شيء من حولنا ينطق بحقيقة واقعية إن نظرنا بتمعن و حاكمنا بمنطق بأنّ ما بين بعثة خاتم الأنبياء و المرسلين وبين قيام الساعة فترة زمنية قصيرة كحال المسافة بين إصبعين متجاورين ، فلنستغلها حتى الثمالة بالخير و الحب و الأعمال الصالحة كي نقف بين أيدي الخالق بضمير راضٍ ومرتاح لا يخشى ما سيذكر في كتابه أمام الملأ ..

الشِفرة الكونية

(النسبة الإلهية فاي)

= وشم جديد على ساعدك يا فرانك ..؟

= بلى أيها الطبيب جيلبرت ..

= و من هي هذه الحسناء في الوشم ؟ خطيبتك ؟

ضحك المساعد فرانك ..

= يا ليت .. عندها لن أريد شيئاً آخر من هذه الدنيا ..

= و هل هي امرأة مهّمة إلى هذه الدرجة ؟

= بل جميلة إلى هذه الدرجة .. إنها أوليفيا ملكة جمال الكون لهذه السنة ، و قد صنّفت كأجمل امرأة في العصر الحديث ..

= بالفعل ، تكّرر اسمها كثيراً أمامي على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي ..

= لا شكّ في ذلك ، فهي الشغل الشاغل للناس حالياً .. يقالأن وجهها منحوت بيد الإله بعناية فائقة ، فلا تفصيل فيها خاطئ و أن في معالمها سحراً خاصّاً يأسر القلوب و يسحر العقول ..

= هذا ما يقال عن كل ملكة جمال جديدة ..

= لا ، لا أيها الطبيب صدقني .. هذه الأنثى مختلفة عن كل نساء العالم .. انتظر قليلاً ..

أخرج فرانك هاتفه و بحث قليلاً عن صورة لها ..

= انظر بعينك أيها الطبيب .. أليست لغزاً محيّراً من

الجمال؟

وضع البروفيسور نظاراته على عينيه و تمعّن بذهول في وجهها ..

= أنت محّقّ ، جمال استثنائي ..

= عليك أن تتجهّز للمرحلة القادمة فأغلب مراجعاتك سيطلبن ملامح وجه أوليفيا من اليوم وصاعداً ..

= لكن المشكلة أنهم لن يتمكنوا من الحصول عليها ..

= و لماذا ؟! أنت أفضل طبيب تجميل في الولاية و لم تعجز عن شيء من قبل ..

= في ذهني فكرة غريبة إن ثبتت صحتها ، فهذا الوجه يستحيل تكراره ..

= أية فكرة ؟

= سأريك ..

= فتح الطبيب حاسوبه ثم حمّل صورة لوجه ملكة الجمال أوليفيا من الشبكة العنكبوتية، بعدها أدخل الصورة إلى برنامج معين و ضغط بعض الأزرار فظهرت أمامه نتيجة جعلته يبتسم بذهول ..

= كما توقعت بالضبط ..

= ماذا ؟

= السرّ الكامن وراء سحر ملامح وجه أوليفيا أنها

مخلوقة بالفعل بمعايير الإله الجمالية القصوى ..

= لم أفهم ..

= أنت تعرف النسبة الذهبية في الرياضيات صحيح ؟

= النسبة فاي ..!

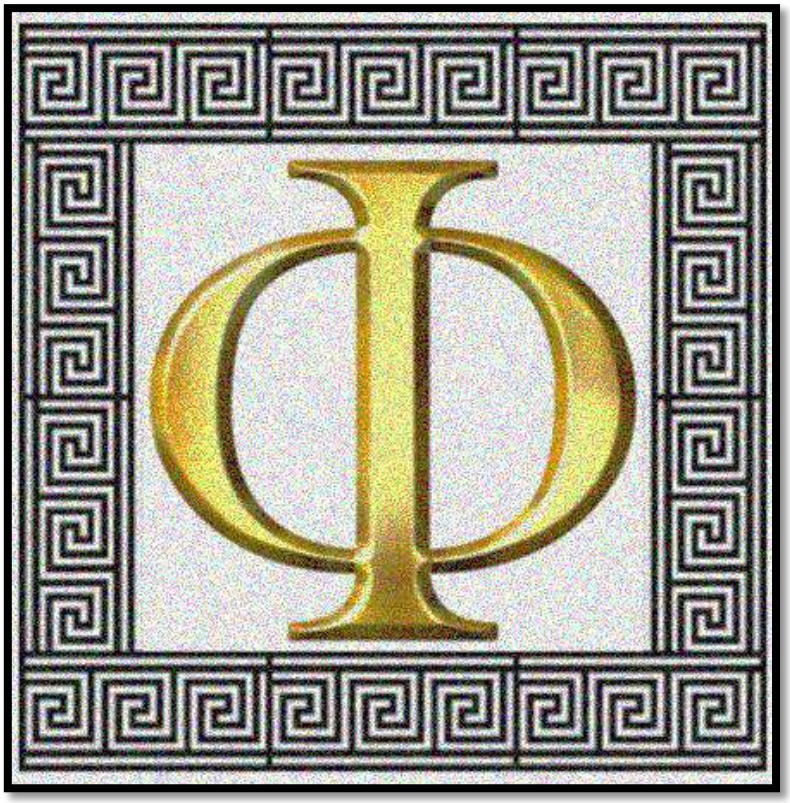

= أجل أو النسبة الإلهية السحريّة المقّدسة .. يقال أّنّ الكون برمّته مخلوق على أساسها ، و أينما وجدت وجد الكمال ،السحر و الإتقان ..

= و ما علاقة أوليفيا بذلك ؟

= هذا البرنامج قام بقياس النسب المختلفة بين ملامح وجهها (الجبهة ، العينان ، الأنف ، الشفتان ، الخّدان ، الفك و الأذنان) و بينها و بين الوجه ، و أعطى نتيجة

مذهلة بأنّ النسبة فاي تحكم ملامح وجه أوليفيا كلها بدقة غريبة .. إنها الجمال الكامل الذي لا وجود له كما كنّا نعتقد ..

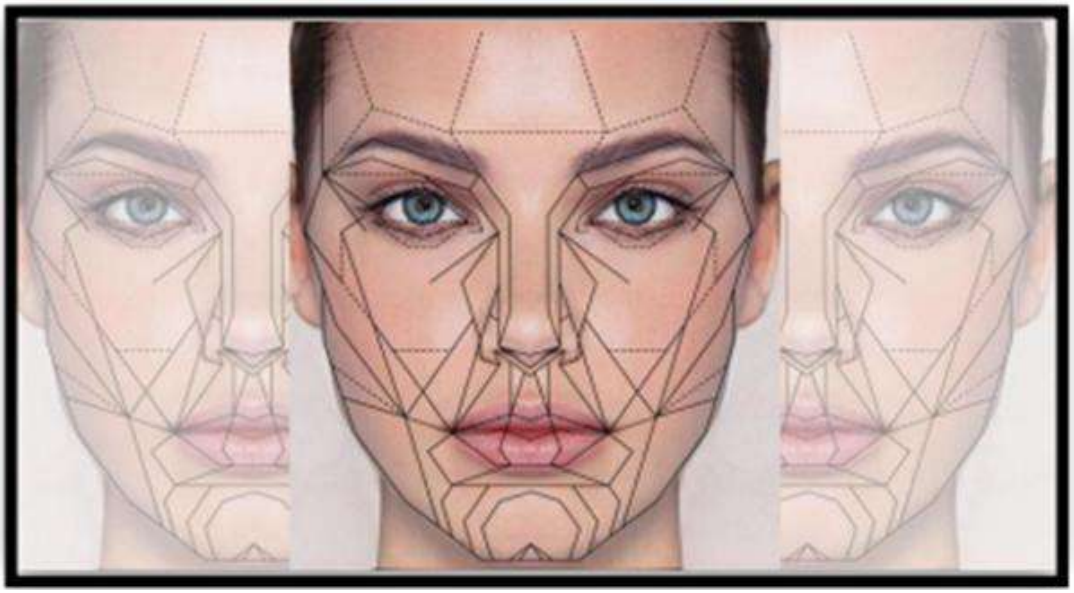

= إذن فسرّ شهرتها الواسعة و انشغال الناس بها له تفسير رياضي علمي ..!

= بالضبط ..

= و لهذا السبب لن تتمكن أي فتاة من التشبّه بها ..

= بلى ، فبالأساس ملامح وجوه النساء تنحرف عن

النسبة فاي بدرجات متفاوتة ، يمكنني كطبيب تجميل أن أقرّبها أكثر منها ، لكنّ التطابق أمر مستحيل ، فلا يمكنني تكبير العينين أو تصغير الأذنين مثلاً ..

= فهمتك الآن .. يبدو أنني كنت محقّاً في وشم وجه أوليفيا على ساعدي ، فهي امرأة استثنائية حرفيّاً يصعب أن يجود الزمان بمثل جمالها..

ابتسم الطبيب جيلبرت ..

= بلا شك ، إنّ عينك ترصد الجمال كرادار ، و أتنبأ لك بمستقبل واعد في اختصاص التجميل ..

*****

من وحي عالم الجمال و الكمال المحكوم بالنسبة الإلهية السحرية فاي تولد مغالطتنا الجديدة الجميلة (**الشفرة الكونية**) لتبصر النور مرتبطةً بالحقيقة بسؤالها الجوهري التالي كحبلٍ سرّي :

(هل حقاً الكون برمّته مخلوق على أساس نسبة رياضية ثابتة تحكم كل شيء فيه ؟ أم أن الكون يدور كيفما اتفق و فق قوانين متغيرة مع تغير الزمن ؟)

في الحقيقة إنّ جواب هذا السؤال الذي ترّوي به مشيمة الحقيقة الأم مغالطتنا بسيط و لكن صادم في نفس الوقت :

(إنّ الله خلق الكون وفق برمجة مميزة و ترك الأمور تجري و تتطور كما برمجها بعد ذلك دون أن يضطر للتدخل أبداً، و هي كحال البرمجة الحاسوبية

تعتمد شِفرة خاصة تترجمها إلى خلق مادي كحال برمجة الحاسوب القائمة على متتاليات الرقمين 0 و 1 و التي تترجم لاحقًا إلى صوت أو فيديو أو صورة ... إلخ، أما الرقم السحري الذي يحكم برمجة الكون فهو ببساطة النسبة الذهبية فاي أو ما تدعى نسبة الإله المقدسة)

و سنحاول خلال الصفحات التالية تفسير هذا الجواب على نحوٍ أعمق و أدق لنسبر أغوار هذه النسبة الغامضة أكثر كي نتوصّل في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة إلى كوكبة من الحقائق الغريبة و المذهلة التي ستدهشك بلا شك عزيزي القارئ ..

إنّ الغموض الذي يكتنف الكون بسبب تشفير ألغازه هو ما يضفي على حياتنا طابع المغامرة ، الإثارة ، التحّدي و التشويق ، فالبشر يعشقون الغموض و حلّ الألغاز لذا منحهم الله الكون برمته على طبق من أسرار تنتظر منّا حلها .. و لو بحثنا في ألغاز التاريخ لوجدنا أنّ أكثر اكتشاف غامض حيّر العلماء هو مخطوطة فوينيش الغامضة التي تبين بفحصها بالكربون أنّها تعود ألوائل القرن **15** و تنقلت بين أيدي كثيرين حتى وصلت

إلى بائع الكتب البولندي في أمريكا **ويلفريد فوينيش** الذي احتفظ بها حتى وفاته ثم منحت لمكتبة بينيك في جامعة يال الأمريكية ، و سرّ شهرتها الواسعة أنها كتاب مؤلف من **272** صفحة مكتوبة بلغة غريبة لم يسبق لأحد معرفتها ، و غزيرة بصور أغرب عن نباتات و حيوانات لم يسبق ألحد مشاهدتها ، هذا الخليط الساحر من ِشفرة الكتابة و الصورة أثار حماس مئات الباحثين و الخبراء لمحاولة فك شفرتها على مدار عقود عبثاً، لكن لا بدّ من أن يأتي يوم و يُحلّ لغزها ليكشف ربما حقائق غريبة للغاية تذهل البشر ..

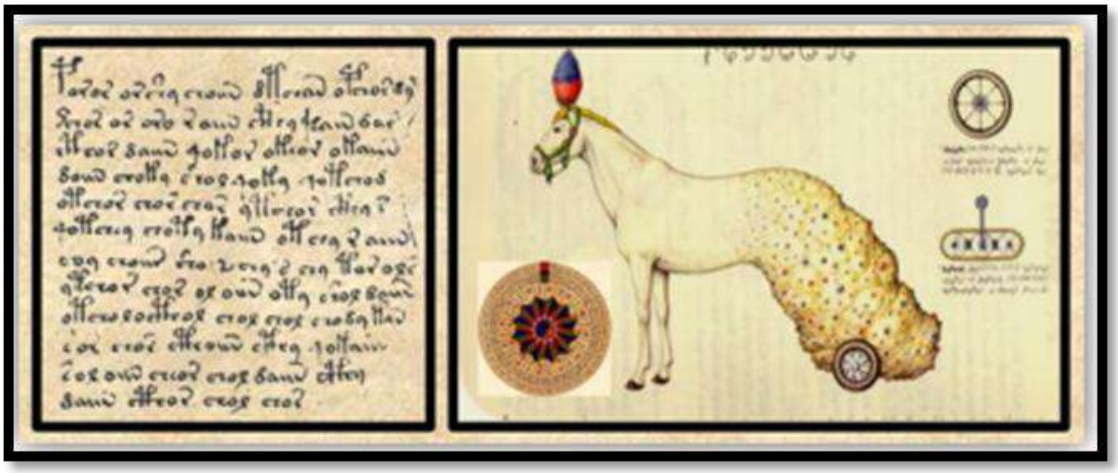

و على غرار مخطوطة فوينيش ، فإننا نجد الغموض الساحر بطريقة مبهمة ، و في كل شيء من حنايا هذا الكون مشفّراً ، و ما إن يتمكن العلماء من فكّ هذه الشفرة حتى تتهاطل الاكتشافات المذهلة و الغريبة على البشرية كأمطار استوائية لتوضّح لنا أكثر كيف تسير الأمور داخل أجسامنا و من حولنا بل في الكون كله

بدقة ، لنوحّد الله بعظمة خلقه و يصدق قوله في الذكر الحكيم :

(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك

فبصرك اليوم حديد)

و عندها تتضح لنا الحقائق التي كانت محجوبة عن أدمغتنا بشفرات غامضة تنتظر الحلّ لقرون ، كحال فك طلاسم الشفرة الجينية في **DNA** خلايا الجسم و ما أعقب ذلك من فهم دقيق لآلية عمل الخلايا و الجسم بشكل عام .. ثم التقنيات الجديدة الحديثة التي نتجت عن ذلك كالعلاج الجيني للأمراض ، و التعديل الجيني لإنتاج مواد نادرة بكميات كبيرة كإنتاج حرير العنكبوت من الماعز بكميات هائلة لصناعة الدروع المضادّة للرصاص ..و غيرها ..

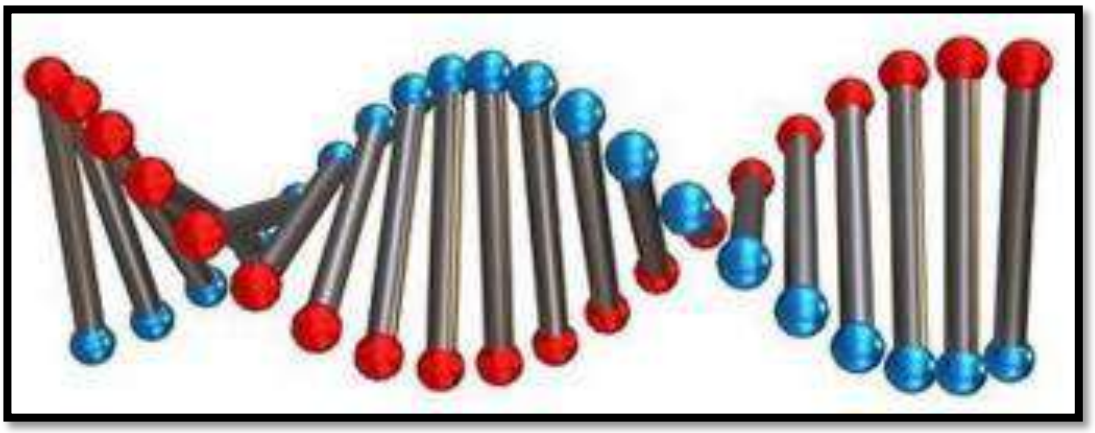

ثم لدينا فك الشفرات السرية عبر التلغراف خلال الحروب العالمية كشفرة مورس مثلاً و الذي قلب

الموازين و أمال الكفّة لمصلحة طرف على الآخر ..

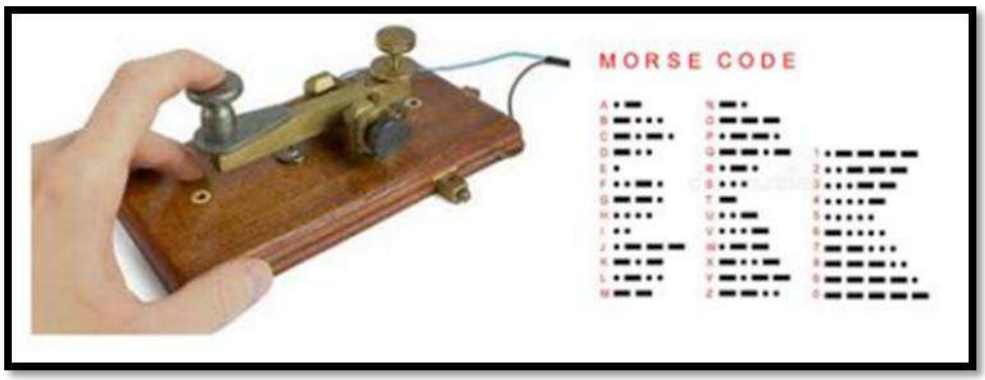

و ربما كانت الشفرة الأكثر شهرة التي تمّ اكتشافها هي شفرة الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة ، عندما اكتشف أحد رجال الاحتلال الفرنسي لمصر (**حجر رشيد**) الشهير الذي مكّن العلماء لأول مرة من فك شفرة الكتابة الهيروغليفية ، مما فتح الأبواب على مصراعيها لمعرفة حقائق مذهلة عن الحضارة الفرعونية بعد ترجمة ما نقشه الفراعنة على الجدران أو كتبوه في البرديات ..

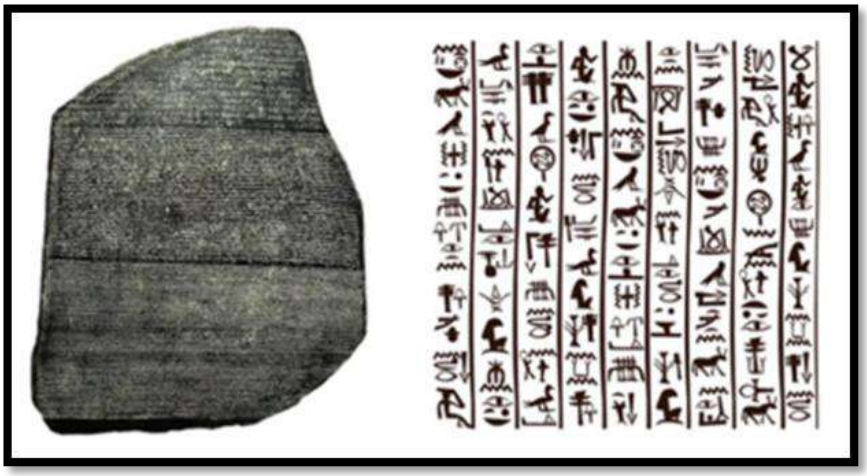

و لا ننسى أيضاً المعادلات النسبية لأينشتاين التي فكت جزءاً كبيراً من طلاسم الكون الذي نعيش فيه .. أو

شفرة برمجة الحواسيب الثنائية .**0** و**1** و التي تتم برمجة كل شيء حرفيّاً في الحاسوب عبر متواليات هذين الرقمين ..

و القائمة تطول ، فكما قلنا آنفاً لكلّ شيء من حولنا شفرة خاصة كلغز مثير و مشوّق ينتظر منّا الحلّ ، و قد تمكنّا بالفعل من حلّ قسم من هذه الألغاز و بقي قسم آخر عصياً على الحل .. و لا شكّ بأنّ الشفرة الأهم و اللغز الكوني الأكثر غموضاً بين كل هذه الشفرات هي الشفرة التي خلق الله الكون برمته وفقها على خلاف المغالطة الشائعة بين الناس بأنّ الكون محكوم بقوانين متغيرة بحسب الظروف أو كما يشطح البعض بآرائه فيقول على نحوٍ منافٍ للمنطق بأنّ الكون عشوائي بلا تنظيم .. و الحقيقة الخطيرة و المهّمة للغاية هنا هي أنّ كثيراً من العلماء يعتقدون بأنّ النسبة الذهبية فاي هي مفتاح هذه الشفرة ، و لهذا الرأي كما سنرى بعد قليل أدلة غزيرة تبرّره ، لذا دعنا الآن عزيزي القارئ نتعرّف أكثر على هذه النسبة عبر ثالثة محاور شيّقة :

① **تعريف النسبة فاي ..**

② **كيف تحكم النسبة فاي كل شيء في هذا الكون ؟**

③ **الأفكار الغريبة و الخطيرة التي تولد من هذه النسبة ..**

و ركّز معي جيداً عزيزي القارئ فما أنت على وشك قراءته سيذهلك بكل تأكيد ..

أولاً ، تعريف النسبة فاي :

هي عبارة عن ثابت رياضي قيمته تقريباً **1.618** نحصل عليه بتقسيم قطعة مستقيمة إلى قسمين **A** و **B** بحيث تكون نسبة الطول الكلي **A + B** إلى القطعة ألطول **A**، مساوياً لنسبة طول القطعة الأطول **A** إلى القطعة الأقصر **B** ..

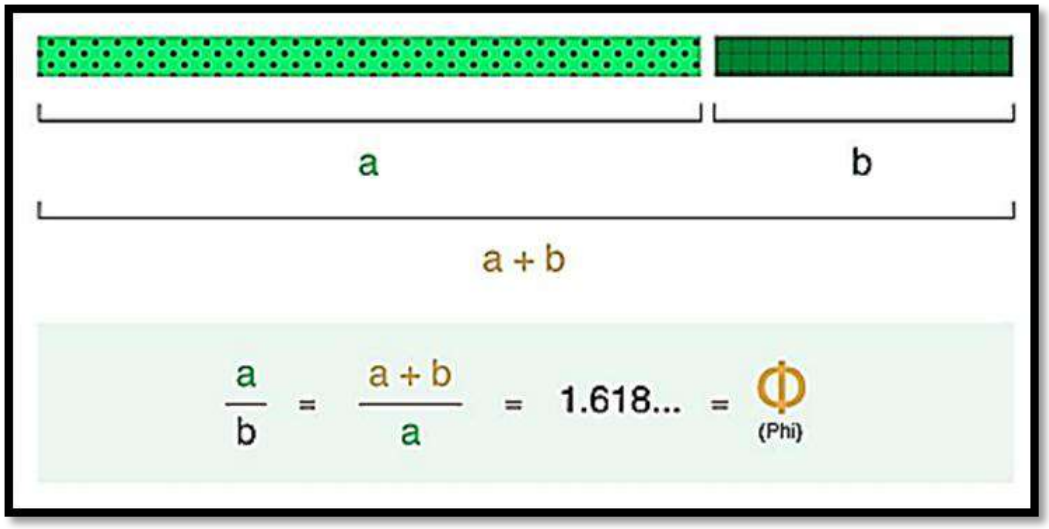

و عادةً ما يتمّ تجسيد هذه النسبة المقّدسة بطرقتين

شهيرتين :

❁ **المستطيل الذهبي** : الذي يقسم إلى مربع مع مستطيل ذهبي آخر الذي يقسم بدوره إلى مريع آخر مع مستطيل ذهبي جديد و هكذا بحيث تكون النسبة بين هذه الأشكال الهندسية المتتالية هي فاي ..

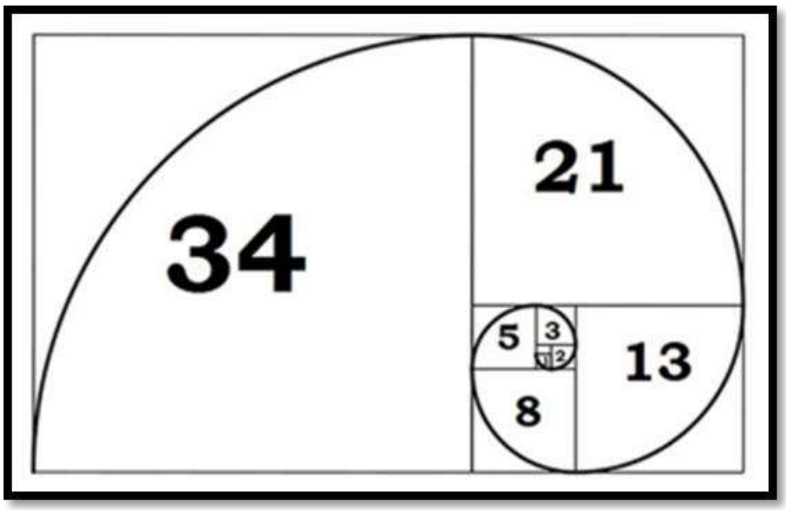

❁ **متوالية فيبوناتشي الرياضية** : هي عبارة عن سلسلة من تتابع أرقام مرتبة بحيث كل رقم يكون نتيجة جمع الرقمين السابقين (**0 ، 1 ، 1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 8 ، 13 ، 21** ...) ..

و قد وضعها عالم الرياضيات الإيطالي ليوناردو فيبوناتشي في القرن **13** و هو نفس العالم الذي أدخل الأرقام العربية إلى الثقافة اللاتينية و ما تزال مستخدمة في الغرب حتى اليوم و تعرف خطأ بأنها الأرقام الأجنبية ، أما الغريب في هذه المتوالية أن قسمة كل رقم فيها على الرقم الذي يسبقه هو النسبة فاي دائما

فمثلاً **8** تقسيم **5** يساوي **1.618** وهكذا ..

ثانياً ، كيف تحكم النسبة فاي كل شيء في هذا الكون ؟

النسبة الذهبية فاي تحكم حرفياً كل شيء في هذا الكون بدءاً من الذّرة و انتهاءً بالمجرّة .. منها ما تمكّن البشر من كشفه لكن ما خفي كان أعظم .. و سنتعرّف الآن على بعض الأمثلة من هذه السيطرة في نواحي الحياة المختلفة على سبيل المثال لا الحصر من باب إيضاح الفكرة لا التفصيل فيها :

◈ **علوم الذرات و الجزيئات** : حيث تبين أنّ النسبية فاي تلعب دوراً محوريّاً فيها دون الخوض في تفاصيل معقّدة أكثر ..

◈ **الطبيعة** : حيث تحكم النسبة فاي كثيراً من الظواهر الطبيعية من حولنا كالأعاصير مثلاً ..

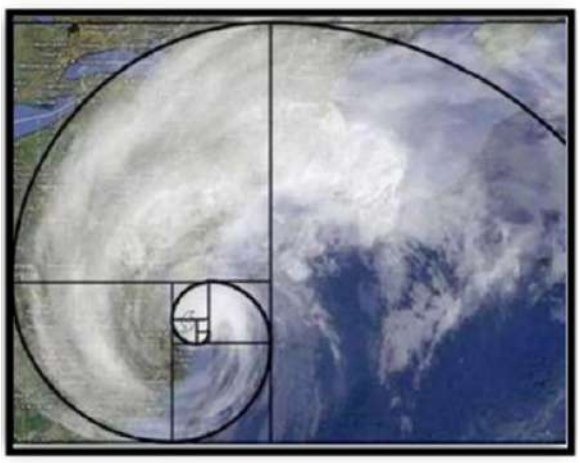

◈ **تشريح الجسد البشري** : حيث نجد النسبة فاي مجدداً في نسب أطوال أجزاء الجسد لبعضها البعض ، و في تركيب صيوان الأذن أو قوقعتها ، و في تركيب الجمجمة و الأسنان و الرحم و العين ، كذلك في بنية الصبغيات و **DNA** الخلايا و غيرها ..

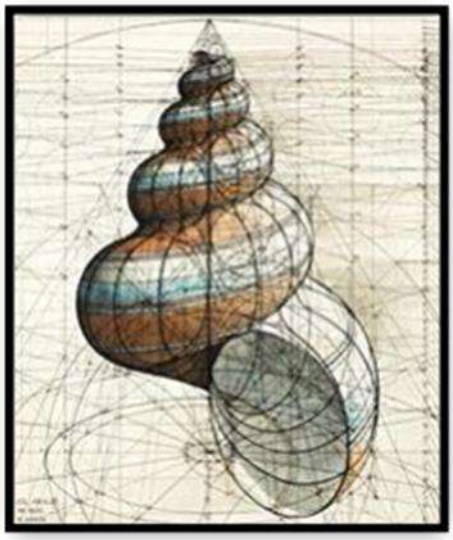

◈ **عالم الحيوان** : حيث نجد أيضاً النسبة فاي في تركيب قوقعة الحلزون أو كائن نوتيلوس أو نجمة البحر أو النمل أو بيوت النحل أو الفراشات ... إلخ

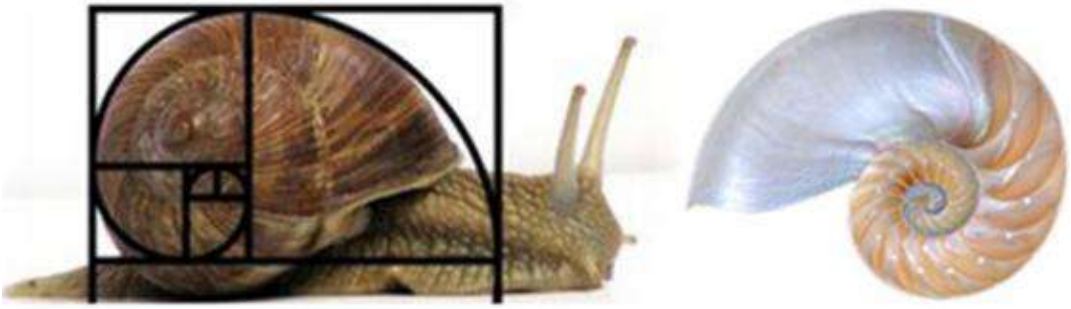

◈ **عالم النبات** : فنجد أنّ عدد بتلات الأزهار تتبع أرقام متوالية فيبوناتشي حصراً ، كذلك حال تراتب

بذور زهرة عبّاد الشمس ، و بنية أكواز الصنوبر ، و تفرع غصون الأشجار و عدد أوراقها .. إلخ

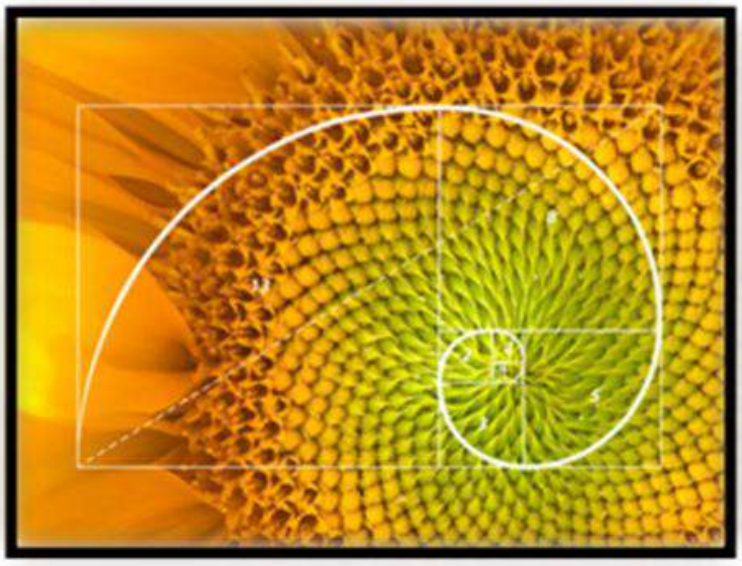

◈ **الهياكل الأثرية** : فقد بنيت كثير من آثار البشرية اعتماداً على هذه النسبة كحال أهرامات الجيزة في مصر و أبي الهول ، و **جامع عقبة بن نافع** أقدم جامع في مدينة القيروان ، و المعابد الإغريقية القديمة كحال **معبد البارثينون** القابع على قمّة **هضبة الأكروبوليس** في العاصمة اليونانية **أثينا** ..

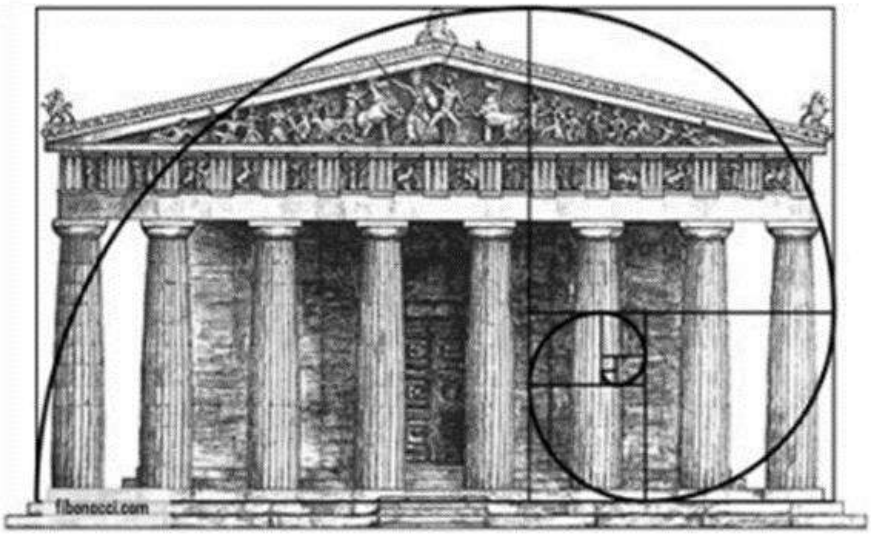

◈ **الأعمال الفنية الشهيرة** : حيث نجد النسبة فاي في لوحة الموناليزا الشهيرة للفنان ليوناردو دافنشي و في أيقونة الرجل الفيتروني الشهيرة له أيضاً ..

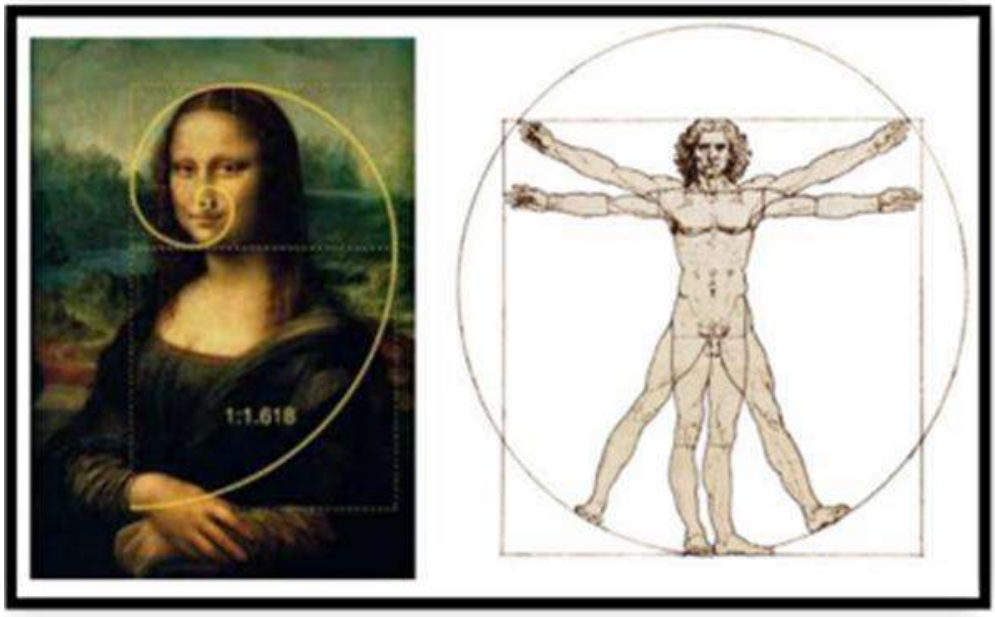

كذلك الحال في سمفونية بيتهوفن الشهيرة الخالدة .. حيث لحّنت على أساس هذه السمفونية بطريقة ساحرة تأسر القلوب و تسحر العقول .. لتصبح أشهر سمفونية في التاريخ ..

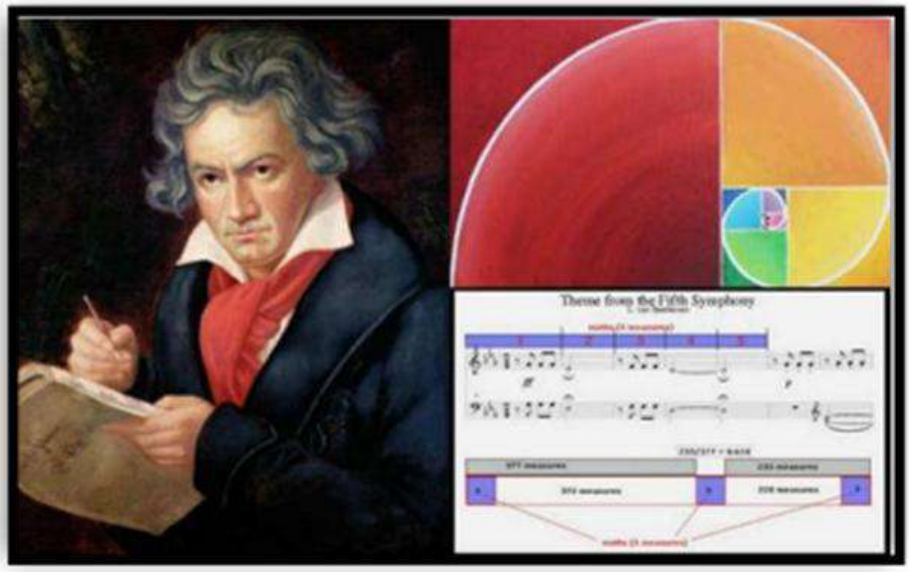

◈ **الفضاء الكوني** : حيث تتبع بينة المجرات بحّد ذاتها هذه النسبة بدقّة غريبة ..

ثالثاً ، الأفكار الغريبة و الخطيرة التي تولد من هذه النسبة :

و هذه بدورها قائمة ال تنتهي من الإمكانيات المذهلة التي ستفتح أبوابها أمامنا مشرّعة في حال تعّمقنا أكثر في دراسة هذه النسبة و علاقتها بكل شيء من حولنا و في داخلنا على حّد سواء ، و سأكتفي بذكر ثلاثة أمثلة هامّة للغاية كي أوضّح خطورة فك شفرة هذه النسبة بشكل كامل في المستقبل القادم :

❁ تحديد عدد المجرات و الأجرام السماوية في الكون بدقّة ، و رسم حدود الحيّز الذي يتوسع في الكون اعتماداً على هذه النسبة و متوالية فيبوناتشي التابعة لها

❁ كشف ألغاز القرآن الكريم المستترة حتى الآن من حيث عدد السور و الآيات و الكلمات و الأحرف ، و الكلمات الغريبة فيه كحال (كهيعص ، ألم ، ألر) و غيرها ..

❁ تحديد موعد يوم القيامة من باب التنبؤ و الاحتمال بناءً على هذه النسبة أيضا ، و كتفسير مبسط على هذه النقطة في لنفكر قليلاً ، لماذا جعل الله ميلاد السيد المسيح حدثاً هاماً في تاريخ البشرية دون غيره من الأنبياء .. في مقاربتنا لمغالطة سابقة بعنوان (المتوالية الهندسية) ، قلنا بأنّ عدد السنوات بين أبي الأنبياء آدم و السيد المسيح هو **4000** سنة تقريباً.. فإذا افترضنا بأنّ المدة الزمنية بين آدم و قيام الساعة هو كقطعة مستقيمة تقيس **X** و آمنا بأنّ ميلاد السيد المسيح هام لأنه يأتي في نقطة من هذه القطعة تحقق النسبة الذهبية فاي ،فيمكننا بحسبة بسيطة أن نستنتج أن عدد السنوات من ميلاد السيد المسيح إلى قيام الساعة يحسب عن طريق تحديد قيمة **X** بالطريقة التالية **X = 4000** **1.618** × = **6472** سنة (لأنّ نسبة طول

القطعة الكلية **X** و هو عمر الحياة البشرية على طول القطعة الكبرى منها و هو الفترة من آدم إلى السيد المسيح أي **4000** سنة يساوي النسبة الذهبية فاي **1.618** كما افترضنا (و هذا ينسجم مع ما توصلنا إليه في مغالطة المتوالية الهندسية بأننا الآن في اليوم الإلهي السابع من نزول آدم إلى الأرض و بأن الحياة الدنيا جمعة من جمع الآخرة حوالي **7000** سنة أرضية .. و بالتالي يكون تاريخ قيام الساعة المقّدر هو **6472 – 4000 = 2472** من ميلاد السيد المسيح ، و الله أعلم ، لكنني على قناعة تامة بأنّ النسبة الإلهية فاي تحمل في شفرتها ألغازاً ضخمة و خطيرة للغاية من هذا القبيل .. و يكفينا شرف المحاولة و الافتراض .. و لقد شرّع البارئ لخلقه محاولة تحديد موعد القيامة بقوله الحكيم :

(إنّ الساعة آتيةٌ أكاد أخفيها)

و في هذا إشارة صريحة إلى إمكانية الإنسان المجتهد من فكِ شفرتها الغامضة و تحديد موعدها المخفيّ عن عيوننا ..

يتوجب علينا أخيراً التنويه إلى فكرة هامة ، و هي أنّ كثيرين يشككون بأهمية النسبة فاي بحجة أنّ أموراً

كثيرة في الحياة لا تتبع متوالية فيبوناتشي و هذه النسبة ، لكنّ الحقيقة هي أنّ جهلنا الدقيق بطريقة سيطرتها على الكون لا ينفي أهميتها و حقيقتها كما حللنا خلال الصفحات السابقة ، فالقصور هو قصور معرفتنا و ليس قصور تلك النسبة .. فمثلاً عدد الكترونات الذرات يزداد واحداً بين عنصر و آخر بدءاً من ذرة الهيدروجين أي أنه لا يتبع متوالية فيبوناتشي ، لكن قد يثبت العلم لاحقاً بأنّ كل مجموعة متماثلة بالخصائص من هذه العناصر تتبع النسبة فاي و متواليتها بطريقة ما.. و هكذا ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الغريبة الجديدة و الهامّة (**الشفرة الكونية**) ، من المنطقي بعد الآن ألا نقول :

= الكون عشوائي تحكمه الصدفة أو أنه محكوم بقوانين تتغير من زمن لآخر تبعاً للظروف الراهنة ..

بل أن نقول :

= الكون مبرمج كما نبرمج الحاسوب ، خلقه الله وفق ِشفرة خاصة تحكم سيره من بداية الخلق حتى قيام الساعة دون أن يضطر للتدخل بعد ذلك .. و لا ندري لعلّ النسبة الذهبية فاي و متواليتها فيبوناتشي التي تبين لنا بأنها تتغلغل في أدق تفاصيل الكون من الذّرة إلى

المجرّة هي حجر الزاوية في فك هذه الشفرة الكونية على نحوٍ يمكننا من اكتشافات مذهلة و خطيرة كتحديد موعد القيامة مثلاً أو حدود الحيّز الذي يتسع فيه الكون أو غيرها من الأسرار المحتجبة عنّا حتى الآن ..

الرياضيات هي أُمّ العلوم ، و الكون الذي نعيش فيه أشبه بمنظومة رقمية عمالقة تجري وفق قوانين ثابتة و بناءً على أسس راسخة لا تتزحزح .. و الله يخاطب خلقه فيها و يروي لهم تفاصيل الحياة من ماضٍ ، حاضر و مستقبل بلغة نجهل تفسيرها أو فك شفرتها حتى اللحظة ..

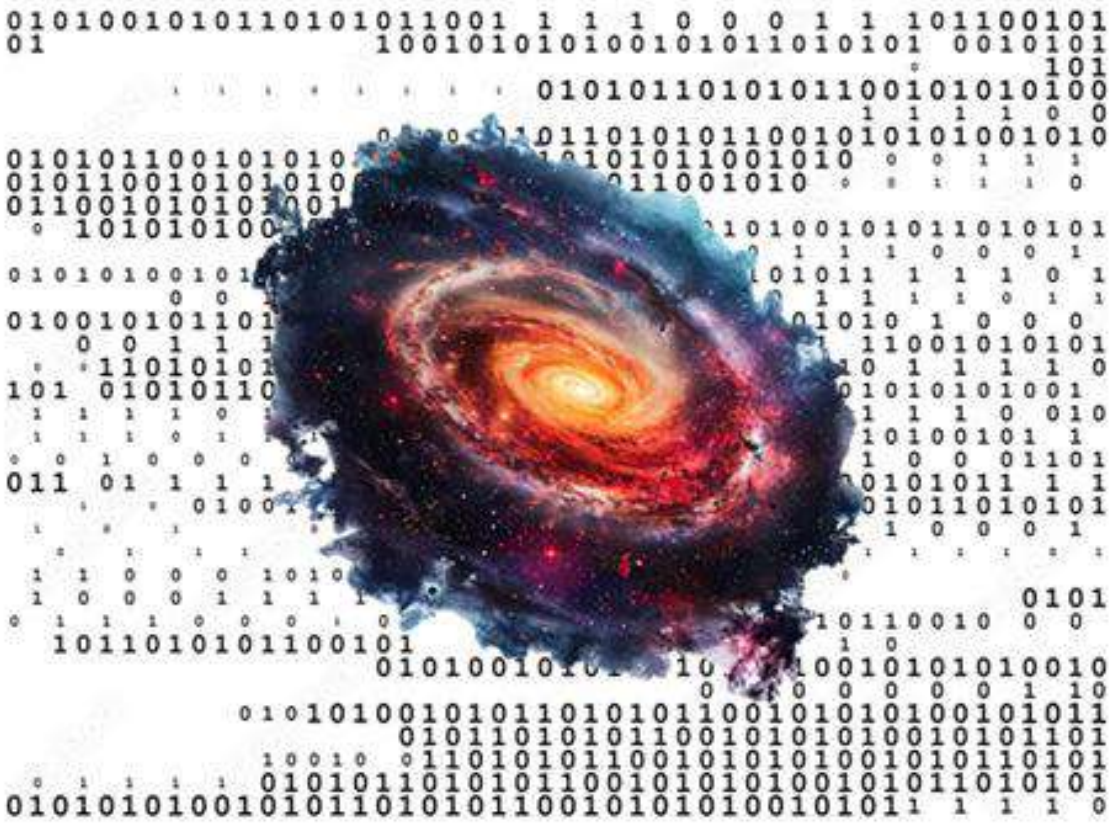

و أنا على ثقة تامّة بأنّ البشر سيصلون إلى يوم سيكتشفون فيه حجر رشيد الخاص بهذه اللغة كحدث

ثوري عظيم يمكننا من فكِ شفرة البرمجة الكونية و قراءة طلاسم الكون المحيّرة ، فنفهم لغة الإله و نتعّرف على قصة خلقه للكون و أسراره الدفينة فيه ،و لديّ حدس غريب بأنّ النسبة الإلهية المقدسة فاي هي حجر الزاوية هذا ..

الكون 25

(الإشباع و بداية الضياع)

= أهلاً بك صديقي ، كيف هي أمورك ؟

= الحمد لله ، و أنت ؟

= جيدة .. كيف حال الزوجة و الأبناء ؟

= بخير و صحة جيدة ، لكن أولادي تالة و فارس يتعباننني بحق ..

= خير ؟!

= يتذمران على الدوام و تحصيلهم الدراسي غير مرضٍ مقارنة بأقرانهم رغم أنني أوفر لهم كل شيء .. لا يحتاجان أو يطلبان شيئاً إلا أمنته لهم في نفس اليوم .. !

= أمر مؤسف .. لكن اعذرني يا صديقي أن أقول لك بأنّ الحق عليك في المقام الأول ..

= عليّ أنا !!

= أجل .. فأكبر خطأ وقعت فيه هو توفير كل شيء يطلبانه لهما ..

= لم أفهم .. كيف يمكن لذلك أن يكون خطأ.. أنا ألعب دور الأب المثالي لهما ؟!

= المثالية ليست بتأمين كل شيء .. بل بتعليمهما قيمة كل شيء كي يقدراه حق قدره و يحافظا عليه ..

*****

من بين ضلوع هذا الحوار الذي اختبره أغلبنا في حيواتنا بطريقة أو بأخرى ، بين صديقين يتذمر أحدهما من سلوك أبنائه غير المرضي رغم تأمين كل شيء لهما على نحوٍ غير عقلاني أو منطقي ، ينبض قلب مغالطتنا الجديدة (**الكون 25**) بالحيرة و الدهشة، فيحاك سؤالها على نول الحقيقة كالتالي :

(هل تأمين كل شيء للإنسان حرفياً ، بحيث لا يعرف طعم الحاجة في حياته يؤدي بشكل منطقي إلى سلوك إيجابي مقابل يحسن نواحي حياته ، أم أنّ هنالك مسار آخر للأمور ؟)

الجواب الوجيز المبدئي هو و على نحوٍ قد يفاجئ

الكثيرين :

(للأسف ، كلما عاش الإنسان في عالم مثالي لا يحتاج فيه شيئاً ، شذّ سلوكه أكثر و فقد كثيراً من إنسانيته و معاييره الأخلاقية)

كيف يمكن لذلك أن يكون صحيحاً ؟

يبدو الجواب للوهلة الأولى غير منطقي ، فالإنسان كلما تحسنت نوعية حياته يفترض أن يزيد إنتاجه و تتفاقم سعادته ، أعلم ذلك ، لكنني سأحاول توضيح هذا الجواب أكثر لك عزيزي القارئ عبر الصفحات التالية ، و سأستهل مقاربة المغالطة بأن أروي لك قصة مقتضبة لكنها مفعمة بالعبر على نحوٍ لا أنكر بأنه مخيف و خطير إلى حدٍّ ما أيضاً ،حكاية عن تجربة سلوكية نفسية غريبة و فريدة من نوعها أجراها عالم الأخلاق الأمريكي (**جون كالهن**) عام **1986** م ، و تدعى تجربة (الكون **25**)

فقد أنشأ جون ما يعتبر مدينة فاضلة للفئران في مختبره ، فيها رزقٌ دائم و أمان مستمر و مطلق، ثم وضع فيها أربعة فئران، اثنين ذكور و اثنين إناث ، و تركهم بعدها ليعيشوا و يتكاثروا كل **55** يوم و هو يراقبهم و يدرس سلوكهم و يسجله حتى بلغ عددهم حوالي **600** فأراً ،

فما الذي حدث خلال تلك التجربة بحسب رأيك عزيزي القارئ ؟

جوابك على الأرجح يفترض بأن الفئران عاشوا حياةً سعيدةً في مجتمع مثالي مؤمن فيه كل شيء بال مسؤوليات أو حاجات أو هموم أو مخاوف !

لكن الصادم في التجربة أن ما حدث في الحقيقة هو العكس تماماً ، فمع قدوم الأجيال الجديدة من الفئران إلى الحياة و التي ترعرعت في عالم متوفر فيه كل شيء بدأت الأمور التالية بالتفشّي :

① العدائية من الفئران تجاه بعضها البعض ..

② الأنانية المفرطة خاصة عند الذكور و تخليها عن أزواجها و أولادها ..

③ قتل الأمهات لأطفالها ..

④ سلوكيات اجتماعية و جنسية غير طبيعية من قبل كلي الجنسين ..

نتائج غريبة و عجيبة تخالف المنطق و التوقعات ، أليس كذلك ؟!

استمرت الأمور هكذا بتراجع أعداد الفئران حتى بقي فأر وحيد بعد عدة سنوات ليموت أخيراً فتنتهي معه تلك التجربة الغامضة و المحيرة و تنتهي أيضاً الأحلام

بإقامة اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة كتجربة على مجتمع الفئران ..

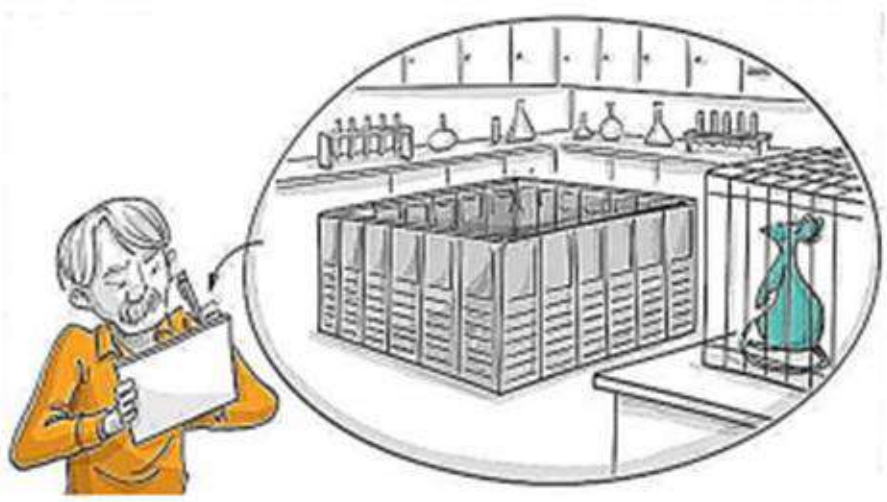

لكن لماذا حدث ذلك من وجهة نظر العالم جون العلمية ؟

في الواقع العالم جون لم يفسر النتائج بل وصفها فحسب فالعلم بحد ذاته لا يستطيع تفسير تلك التجربة لأنّ نتائجها لا تعتمد على أسس مادية ملموسة بل أنها تسير بعكس اتجاه التوقع العقلاني المنطقي ، لكننا نجد الجواب الشافي عن أسئلتنا عند الدين و الروحانيات هذه المرة .. في الحقيقة يمكن تفسير تلك النتائج ببساطة شديدة عبر جملة واحدة فحسب :

(**الإشباع و بداية الضياع**)

و ترجمة هذه العبارة أنه بعد التعود على النعم لفترة من الزمن تفقد قيمتها في نظر مالكها تدريجيا ليتلو ذلك

طور الانحدار عندما يصل الإنسان إلى مرحلة لا يقدر فيها ما بين يديه فيفقده..

و لا غرابة أنّ ما ينطبق على الحيوان في هذه النقطة ينطبق أيضا على عالم الإنسان .. فجل الأمر ببساطة أنك يجب أن تجرب الحرمان و الحاجة للشيء أولاً كي تقدر قيمته تماماً فلا تخسره لاحقاً و تحافظ عليه ، أما من يولد في عالم متوفر فيه كل شيء بحيث لا يعرف للحاجة طريقاً سواًء كان إنساناً أو حيواناً (كفئران تلك التجربة) فلن يعي تماماً قيمة النعم ليفقدها عاجلاً أم آجلاً .. فالعملية نفسية بحتة بالمحصلة ..

و من وحي تفسيرنا الروحاني الأخلاقي هذا ، أستعين بالقرآن الكريم مجددا لأستشهد بآية أقدرها للغاية تلخص تجربة الكون **25** هذه بمنتهى الروعة و البلاغة و تختصر مفهوم الإشباع بأفضل طريقة ممكنة تنص الآية على :

(و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)

و كما ترى عزيز القارئ كم هي آية مذهلة و معبرة بالفعل ، فالله يعلم ما لا يعلمه البشر و يعرف مصلحتهم أكثر منهم ،إذ يدرك كما يقول بنفسه أن الرزق الشامل للجميع سيؤدي إلى فساد الأخلاق بسبب الوصول إلى

الإشباع الخطير الذي ذكرناه آنفاً و بالتالي بداية طور الضياع و فقدان النعم أي تماماً كما جرى مع الفئران في مدينتهم الفاضلة التي أعدها لهم العالم جون و بسط لهم الرزق فيها !! ..

قد يسأل سائل هنا ، لكن لماذا يرزق الله قسماً من البشر الكثير، في حين يقتر رزقه على قسم آخر .. ؟!

سؤال هام ، مشروع و منطقي بلا شكّ .. تجيب عليه آية قرآنية مذهلة أخرى متممة للآية السابقة يعتدل معها ميزان العدل الإلهي و تتحقق المساواة بين الجميع .. و تقول :

(و تلك الأيام نداولها بين الناس)

أي أنّ دوام الحال من المحال فمن هو في النور أو اليسر قد يمسي في الظالم أو العسر و من هو في الظالم أو العسر قد يصبح في النور أو اليسر و هكذا كتوالي النهار و الليل في حياتنا و لا يبقى على حاله سوى الله تعالى ، فالحياة دورات من شد و إرخاء .. عسر و يسر و بين هذه الثنائيات يلقننا الله أبلغ المواعظ و أعظم الدروس ..

و يمكننا اختزال كل ما سبق بالجملة التالية المبسطة التي تلخص فلسفة الإشباع و بداية الضياع ..

(وفرة النعم تسبب البطر ثم فساد الأخلاق ثم فقدان النعم)

فالبطر خطيئة لا توازيها خطيئة ، و كارثة حقيقية تعصف بحياة الإنسان ، و نظراً لخطورته و تأثيره السلبي على أخلاقه و إنسانيته نجد الله تعالى يقول في القرآن الكريم :

(و كم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً و كنّا نحن الوارثين)

فالبطر ذو نتائج وخيمة تستدعي غضب الله و تأديبه للبشر كي يعودوا إلى طريق الصواب و تقدير النعم بعيداً عن الإسراف أو التبذير ..

و هذا يفسر بدوره لماذا كان الأنبياء و القديسون زاهدين بالحياة و متقشفين، ألنهم يدركون بأن الغنى و الثراء يفتحان أبواب البطر على مصراعيه مع عواقبه الوخيمة ..

و خير مثال على ذلك هو بوذا الذي عاش أميراً مترفاً

في شبابه يملك كل شيء، لكنه هجر كل ذلك لاحقاً و اكتفى بحياة الناسك بحثا عن الاستنارة و فهم الحياة بصورة دقيقة و عميقة ، حتى أن كلمة بوذا تعني حرفياً : (**المستنير**)..

وهنا يظهر مفهوم الصيام و أهميته في حياتنا ، طبعاً المقصود هنا هو الصيام عن كل متع و ملذات الحياة المادية منها و المعنوية ، و ليس الطعام و الشراب فحسب، فالصيام بحد ذاته شكل مبسط من أشكال اللقاح ضد الإشباع .. إذ أنك بامتناعك عن متع الحياة لفترة

من الزمن كما يحدث في الصيام ، فإنك تقدر قيمتها تماما و كأنك فقدتها بالفعل، فتدرك ما الذي ينجم عن الإسراف أو التبذير بها مما يدفعك إلى احترامها و صونها بأشفار العيون ..

و كما أن للقاح الأولي جرعات معززة و داعمة لاحقاً ، كذلك الصيام يعود سنوياً لتدعم تجاربه بعضها بعضاً مما يرسخ فكرة احترام النعمة في نفوس الناس ..

و يمكن القول و بكل ثقة بأن الصيام هو أهم أركان الأديان على الإطلاق لأنه إن مورس بوعي و إدراك قد يجنب الإنسان طور السقوط في الحياة عقب الإشباع عندما يعي بنفسه تماماً قيمة النعم فيصونها محققاً غاية الإله الأسمى دون أن يحتاج الخالق أن يحرمه منها كي يعي قيمتها بحقّ ..

أي أنّ الصيام هو ترياق التسمم بالإشباع ..

و في الحقيقة تجربة الكون **25** ليست الأولى من نوعها في التاريخ بل سبقتها بزمن سحيق تجربة مماثلة نعرفها جميعاً ، بل أنها طبقت على الإنسان و ليس على الحيوان .. إنها تجربة أدم و حواء بعيد الخلق الأول في الجنة ، فقد عانيا بدورهما من تجربة الإشباع من نعم الجنة التي خلقا فيها و كانت تحتوي كل شيء حرفياً فلم يعرفا للحاجة طعماً ، فماذا كانت النتيجة ؟

تخليا عن كل تلك النعم و عصيا ربهما عند أول أمر منه لهما بالابتعاد عن شجرة التفاح فبطرا و خسرا تلك النعم ليهبطا إلى الأرض مرتع الحاجة و الحرمان و الدروس الفريدة في تقدير قيمة النعم و التزام النصائح الإلهية النبيلة.. فالقصة ليست قصة تفاحة فحسب بل قصة رمزية تشير إلى العصيان بعد الإشباع من النعم الإلهية .. فلو قال لهما الله لا تقطفا تلك الوردة على سبيل المثال لقطفاها دون تردد .. و هكذا ..

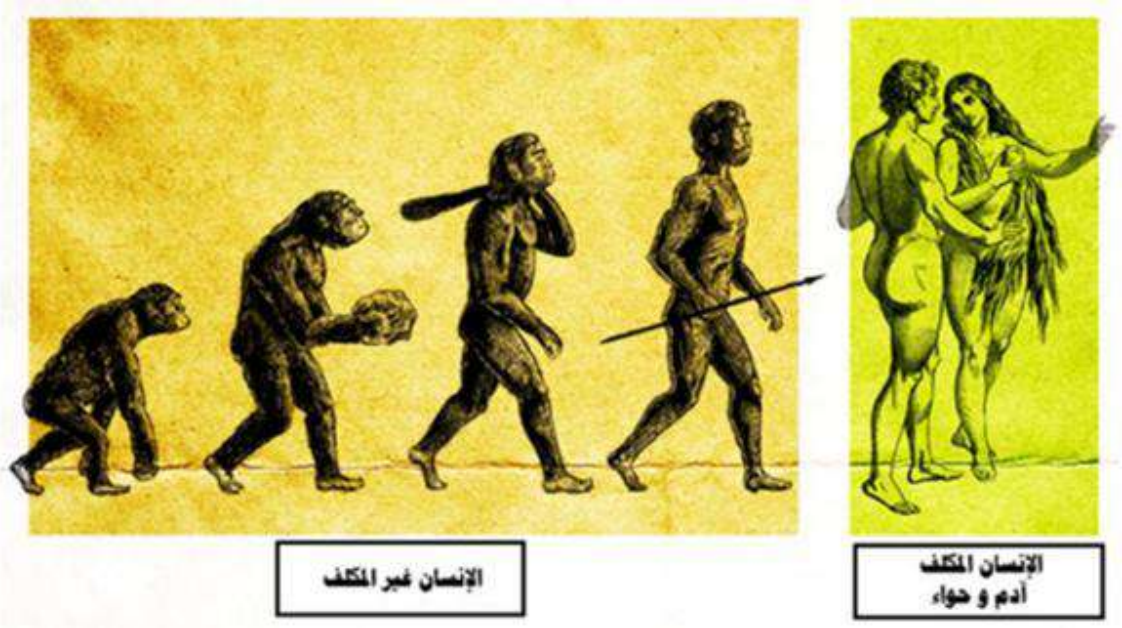

حتى أننا نجد الفكرة ذاتها تتكرر مع أشهر ثلاث تفاحات أخرى في التاريخ .. تفاحة الشقاق الذهبية في الأساطير الإغريقية ، تفاحة العالم اسحق نيوتن و تفاحة الثائر وليام تيل .. و بعيداً عن صلب موضوعنا سنتطرق إلى هذه القصص باختصار من باب المعرفة و المتعة و التشابه برمزية التفاحة بينها جميعاً ..

فمثلاً قصة تفاحة الشقاق الذهبية التي نقشت عليها إلهة الشقاق والنزاع (**إريس**) جملة : (**إلى الأجمل**) ثم دحرجتها إلى جبل الأوليمب حيث اجتمع الآلهة هناك في حفل زفاف تثيس و بيليوس ؛ فقد كانت إريس غاضبة لأنها لم تدع إلى الحفل فقررت بث الشقاق و النزاع بين الآلهة وتحويل الزفاف إلى صراع..

و بالفعل وقع الخلاف المنشود عندما ادعت كل من هيرا، وأثينا، وأفروديت أحقيتها بالتفاحة لكونها الأجمل ، ولم يستطيع أحد من الآلهة أن يحسم الخلاف بينهن ، فاختار زيوس كبير الآلهة باريس الطروادي للحكم في هذا النزاع كونه معروف برأيه المجرد و المحايد، فحكم بانها من حق أفروديت لأنها الأجمل، فوعدته كهدية له أن تزوجه أجمل نساء العالم في زمنه و كانت هي (**هيلين**) التي تركت زوجها و هربت مع باريس فكانت النتيجة حرب طروادة الشهيرة ، لنجد مجدداً

التشابه بين التفاحة و الإغواء و العواقب الوخيمة بعدها فالقضية هنا ليست بالتفاحة نفسها بل بفكرة الشقاق التي حملتها عبارة (إلى الأجمل) عليها ..

كذلك نجد تفاحة نيوتن التي سقطت أمامه و هو مستند إلى جذع الشجرة فأثارت في دماغه عاصفة من التفكير المنطقي و المحاكمة انتهت باكتشافه لقانون الجاذبية الأرضية ، و لو كانت ثمرة دراق أو برتقال لما تغير الأمر .. فالفكرة هي بسقوط الثمرة للأسفل و ليست بنوعها ..

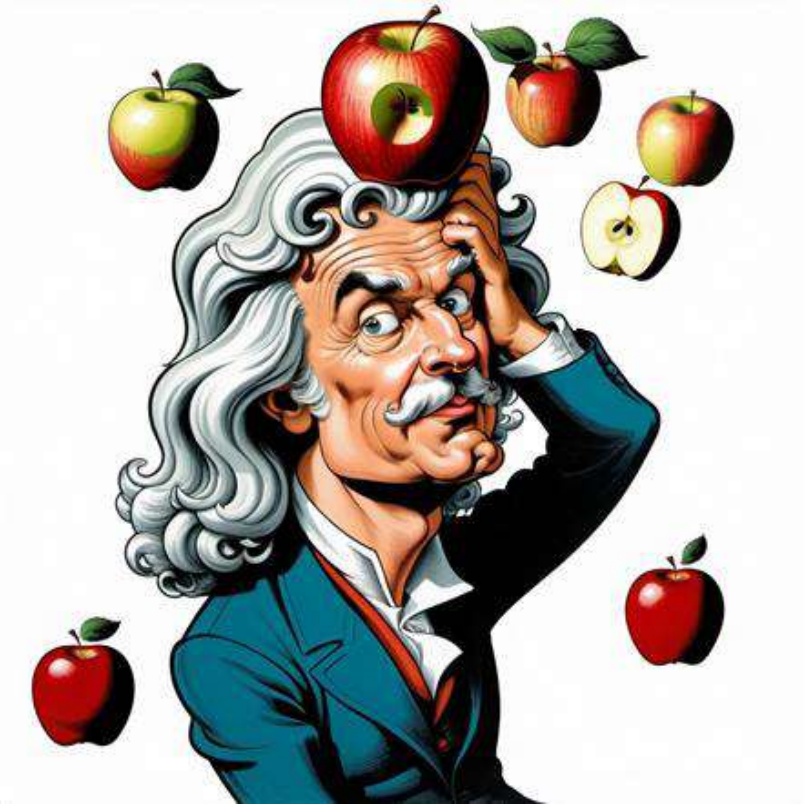

و أيضاً تفاحة وليام تيل البطل السويسري الذي ثار على حكم الإمبراطورية النمساوية لبالده في القرن **14** حتى ألقي القبض عليه و عاقبه الحاكم النمساوي بإجباره على

التصويب بسهم على تفاحة فوق رأس ابنه، فأخذ تيل سهمين من كنانته وأصاب التفاحة من الضربة الأولى لينقذ ابنه من موت محتم، وعندما سئل تيل لماذا حمل سهمين معاً ؟ أجاب بأنه كان سيرمي الحاكم بالسهم الثاني لو أخطأ التفاحة وأصاب ابنه بالسهم الأول ، و قد ألهمت الحادثة السويسريين بعدها الذين ثاروا حتى انتهى صراعهم مع السلطة باستقلال بلدهم سويسرا ، و هنا أيضاً القضية ليست قضية تفاحة .. فلو وضع الحاكم عصفوراً فوق رأس ابن تيل لكانت النتيجة نفسها ، فالقضية هي بوضع حياة ابنه على المحك بوحشية ..

و بالعودة إلى موضوعنا الأساسي حول الإشباع و بداية الضياع ، فهو برمته أشبه بدخول قطار حياة الإنسان في نفق مظلم ، في البداية و قبل دخول الإنسان النفق

يعيش في النور و يتمتع بمحاسنه و رونقه حتى يصل إلى مرحلة الإشباع منه فيصاب بالبطر و يبدأ طور الضياع ليدخل النفق المظلم فيتوه و تعصف به الحيرة و المرارة و الحرمان فيستذكر أيام النور بحنين لا يوصف و يقدره حق قدره مع التوبة و الطلاق من حالة الإسراف و التبذير للنعم و سوء تقديره لها في الماضي ، و عندها فقط يخرج قطار حياته من النفق إلى النور مجدداً و إلى الأبد لتبقى تجربة النفق درساً هاماً كبوصلة يستدل بها في قادم السنوات..

و مما يدعم تحليلنا السابق للمغالطة هو دراسة سلوكية نفسية اجتماعية أجراها العلماء حول معدلات الانتحار حول العالم ، فوجدوا أنّ أعلى معدلات الانتحار هي في المجتمعات المتطورة التي يتوفر فيها كل شيء للمواطن كالدول الاسكندنافية .. لماذا ؟ لأنهم بكل بساطة يملكون كل شيء فقد بلغوا بذلك درجة الإشباع فتلقفتهم غياهب

الظلمة و الضياع و قادتهم إلى الإحباط و اليأس بعد فقدان النعم لقيمتها في عيونهم .. !

الله نبيل ، رحيم و كريم .. لديه خزائن السموات و الأرض و لو شاء لمنحنا إياها بغمضة عين دون أن يخسر شيئاً ..

لكن من سيخسر في هذه الحالة هو نحن ، عندما نفقد تقديرنا لهذه النعم فنضيع في متاهة الإشباع و الضياع ، لذا و من أجل مصلحتنا فقط لا غير يجعلنا الخالق نعيش الحرمان و الألم و الحاجة في الحياة الدنيا كي نقدر نعم الجنة اللامحدودة في الحياة الآخرة بعد الموت فنصونها بأشفار العيون .. و لدينا في قصة أبينا آدم و أمنا حواء عبرة و مثل بليغ .. لذا نجد الله يصف حياتنا في الدنيا بالقول :

(يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فمالقيه)

فالله لم يعدنا بغير المشقة في الدنيا من خلال دروس

الحرمان المتنوعة ، حرمان المال أو الغذاء أو الصحة أو الأمان أو العائلة ... إلخ ، كي نستحق الراحة و الاستمتاع الأبدي في الآخرة بنعم نعي بعمق و قناعة قيمتها الحقيقية ..

أما حلم اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة التي حلم بها أفلاطون ذات يوم فلن تقام أبداً في هذه الحياة ألن فيها

هالكاً للجنس البشري على خطى تجربة (الكون **25**) ، بل إنّ الله سيحرمنا جميعاً من متع و حاجات متنوعة حتى قيام الساعة ، لأنّ الدنيا ليست مكاناً للاستمتاع البحت ، بل لتعلم الدروس الهامة التي سنتسلح بها في حياة الآخرة الباقية بعد الموت ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الهامة و الخطيرة (الكون **25**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الله يملك خزائن السموات و الأرض ، فلماذا يقتر علينا رزقنا و يعذبنا بهذا الشكل ؟

بل أن نقول :

= الله نبيل ، رحيم و كريم ، و جلّ ما يفعله في الدنيا هو تربيتنا الصالحة و تعليمنا الدروس كخطوة أولى وحيدة قبل أن يغدق علينا بنعمه اللامحدودة في الآخرة لكن على نحوٍ نحافظ فيه على هذه النعم بعيداً عن الإسراف و التبذير ..

و ألا نقول :

= لقد قدمت لأبنائي كل شيء ، فلماذا لا يقابلون ذلك بالسلوك الحميد و النتائج المرضية ؟

بل أن نقول :

= نحن من يخطئ بحق أبنائنا .. فالتربية المثالية و الصالحة لا تكون بتجنيبهم الحرمان ، بل بتعليمهم قيمة النعمة بطرقنا الخاصة كي يحافظوا عليها فيكون الحصاد في النهاية خيّراً و مناسباً ..

الحرمان و **الرحمان** لا يتشابهان بالحروف فحسب بل بأمور أعمق بكثير .. فالحرمان رحمة إلهية تجعلنا نقدر حقاً قيمة الأمور التي حرمتنا السماء منها كي نحافظ عليها لاحقاً عندما يهبنا إياها الله دون مقابل و للأبد .. كما قال نبي الرحمة محمد :

(**صوموا تصحوا** ..)

أي نصحّ جسدياً ، نفسياً و روحياً على حدّ سواء .. فلا أروع من الصيام كحرمان مؤقت من متع الحياة يجعلنا نقدر قيمتها حقّ قدرها طوال العام التالي حتى نضرب موعداً ً جديداً مع صيام آخر إلى أن تحفر فلسفة تقدير النعم في أرواحنا إلى الأبد مع التأثير التراكمي للصيام على امتداد سنوات عمرنا ..

الصيام الفكري

(لا قيمة لشيء في متناول اليد)

● إذاً فأنت مستعد لدفع الثمن مقابل الوصول إلى الحقيقة سيد بيرلو ؟

○ بالطبع ، كل الاستعداد ..

صمت السيد هوجو قليلاً ثم فاجأ بيرلو بطلب غريب لم يتوقعه مطلقاً ..

● الثمن الذي عليك دفعه سيد بيرلو سيكون من وقتك ، حيث **ستقضي بعض الوقت في أماكن متفرقة من العالم فتعيش بعض التجارب و تلتقي بعض الأشخاص**، و تبعاً لما أخبرتني به عن ثرائك ومحبتك للترحال والأهم من ذلك كله فضولك ولهفتك لمعرفة الحقيقة، فلا مشكلة لديك بذلك على ما أظن !

أومأ بيرلو برأسه مفكراً بينه وبين نفسه أن السيد هوجو بسّط الموضوع كثيراً، فالثمن الذي يطلبه منه و إن كان غريباً، فهو يشتمل على مغامرات وكشف حقائق و هو يعشق الاثنين حتى النخاع .. ففي جميع الأحوال هو يحب الترحال وهدفه زيارة جميع دول العالم و لا ضير أبداً من زيارة بلدان جديدة في سبيل غاية سامية و هامة كالحقيقة إذ أنه بذلك سيضرب عصفورين بحجر واحد كما يقال ، كذلك الأمر إن اتضح أن الموضوع غير مثمر بالنسبة له ، فسينسحب منه بكل بساطة..

بالمحصّلة هو لن يخسر شيئاً، و من جهة أخرى قد يكسب ما يغير وجه حياته المعرفية بالكامل و كل ما في السيد هوجو من ناحية الشكل و المضمون يشير بقوة إلى أنه سيكسب ذلك بالفعل ..

تابع السيد هوجو كلامه..

- ولكن قبل أن نبدأ بالتجارب و نخوض المغامرات عليّ أن أسألك **سؤالاً** و أقص عليك **قصة** ثم أعطيك **نصيحةً**.
  - تفضل سيد هوجو ، كلي آذان صاغية...

أشعل السيد هوجو البايب من جديد ومضى في الحديث

● أما السؤال فهو بسيط:

هل تعلم سيد بيرلو هذه الحقيقة : (**إن الأرض كروية وليست مسطحةً و هي ليست مركز المجموعة الشمسية بل الشمس مركزها** ؟)

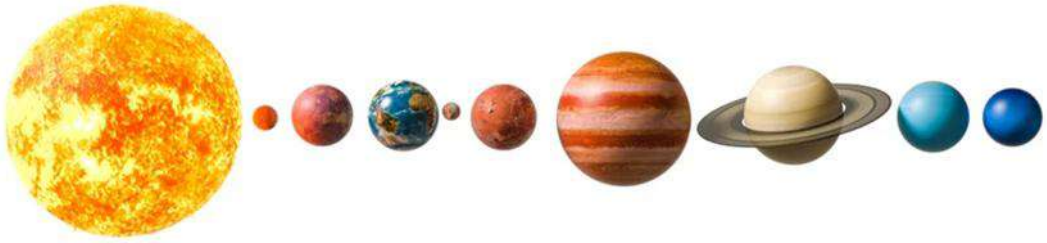

نظر بيرلو إليه بضيق واضح وأجابه بلهجة مفعمة بالامتعاض و الغرور..

○ بالطبع أعلم سيد هوجو ، هل هذا نوع من الحقائق التي سأحصل عليها؟

نظر إليه السيد هوجو معاتباً ..

● لقد أخطأت ثلاثاً في وقت واحد بهذه الإجابة سيد بيرلو...

شعر بيرلو بضيق أكبر ممزوج بدهشة ..

○ وما هي هذه الأخطاء سيد هوجو أخبرني .. ؟!

● سأخبرك بالطبع فلا تتعجل..

نفث السيد هوجو قليلاً من الدخان من البايب و شرع يشرح لبيرلو أخطاءه الثلاثة وسط دهشته و خجله ..

أولاً: كي يستقبل الإنسان المعرفة والحقائق يجب أن يكون متواضعاً .. فالسهول المنخفضة هي التي تجمع مياه الأمطار فيها .. و عليك أن تتواضع كي تجمع في قلبك حقائق الكون الكبرى ..

ثانياً: تعجلك يدل على قلة صبر.. وهذا ما ستحتاج منه الكثير في تجاربك القادمة وحياتك بشكل عام .. بل أكثر من ذلك أنت على وجه التحديد عليك أن تملك صبر النبي أيوب لتواجه مغامراتك القادمة سيد بيرلو ..

ثالثاً: لقد استهنت بتعب غيرك ونتاج عمره لمجرد امتلاكك للشيء، فربما تناسيت أن الحقائق البسيطة لم تكن كذلك من قبل ، لكنها أصبحت بسيطة و بديهية بعد اكتشافها ، بالإضافة إلى كونها نتاج عمل وبحث سنوات من حياة مكتشفيها، ناهيك عن الرفض الاجتماعي والأذى الذي لحق بهم لمخالفتهم التقاليد والأعراف والذي وصل ببعضهم إلى خسارة حياته مقابل ذلك .. و خير مثال على ذلك عالم الفلك **جوردانو برونو** الذي شكك بالمسلمات الفلكية الخاطئة في زمانه فاتهمته الكنيسة بالهرطقة و اقتيد عارياً في طرقات روما ثم أحرق حياً في ميدان النار وسطها .. فهل الحقائق التي دفع هذا العالم الشجاع حياته ثمنها بسيطة و غير هامة بالنسبة لك سيد بيرلو .. ؟!

شعر بيرلو بعاصفة من الارتباك تجتاحه، فقد كان السيد

هوجو محقاً ي كل كلمة مما قاله ..

○ أعتذر منك سيد هوجو ، أنت محق، لقد تعجلت بغرور و استهنت بجهد من سبقني إلى اكتشاف حقائق الكون و الحياة ..

● اعتذارك نقطة إيجابية في شخصيتك وستستفيد منها لاحقاً، لنكمل إلى ما بعد السؤال وهي القصة، هل تحب سماعها؟

اعتدل بيرلو في جلسته وقال بتواضع هذه المرة ..

○ طبعاً سيدي تفضل ...

● القصة هي عن فلاح من دولة النيجر الإفريقية ..

نفث السيد هوجو الدخان من البايب مجدداً ، في حين تنبه بيرلو بكليته للقصة متلهّفاً لسماعها..

● يحكى أن رجلاً من النيجر كان يحرث أرضه، فارتطمت فأسه بحجر غريب الشكل نزعه الفلاح ورماه خارج حقله بعد أن عرقل عمله ثم تابع الحراثة .. وعند مرور رجل آخر بجوار الحقل عثر على الحجر الغريب فأعجب بشكله وأخذه إلى محل زينة ليشتريه منه البائع بخمسة فلوس.. ثم صدف أن مر تاجر أحجار كريمة بدكان بائع الزينة، فعرف على الفور أن ذلك الحجر الغريب هو حجر كريم ، نادر و باهظ القيمة و الثمن،

لذا اشتراه من البائع بخمسة وعشرين فلساً كما طلب البائع .. أخذ التاجر الحجر، وباعه بدوره للشخص المناسب بمئات آلاف الفلوس..

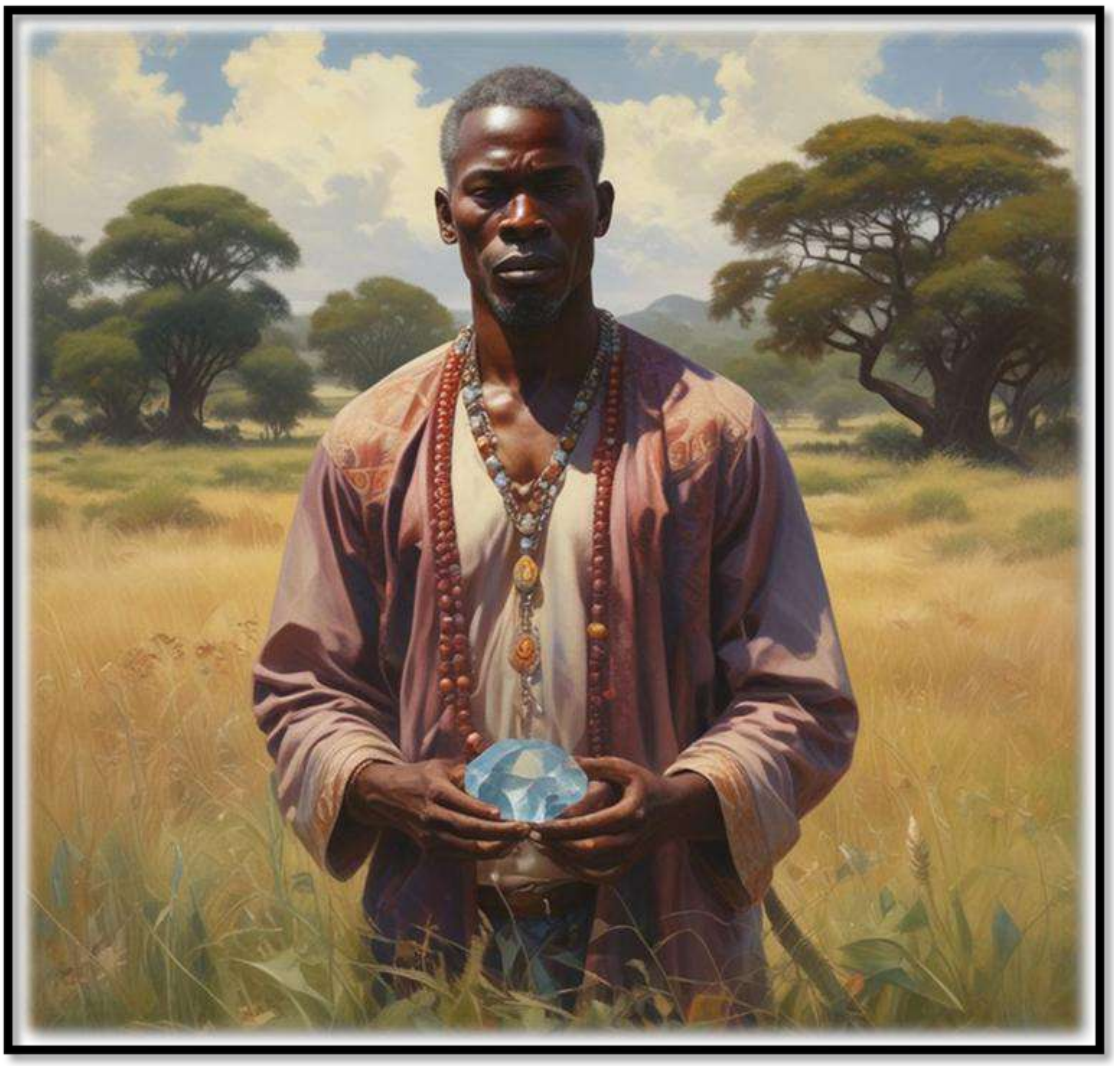

هل فهمت ما أقصده من القصة سيد بيرلو؟

○ أظن ذلك سيد هوجو ، **كلٌ تعامل مع الحجر حسب معرفته بقيمته**.. الفلاح الذي لم يعرف قيمته رماه، البائع باعه بثمن بخس، أما التاجر المختص فكون ثروةً منه ..

● بالضبط سيد بيرلو، **و الحقيقة التي تبحث عنها لن تكون ذات قيمة إن لم تدرك أنت أهميتها وقيمتها** ..

ساد الصمت للحظات بعد انتهاء السيد هوجو من قصته ذات العبر ثم هشمه بيرلو بفضول أكبر ..

○ بقيت النصيحة سيد هوجو ، فانصحني أنا مصغٍ ..

● النصيحة هي خلاصة كل ما سبق وهي موجودة في جميع الأديان سيد بيرلو، إنها الصيام وما أقصده هنا هو **الصيام الفكري** ..

سكت السيد هوجو و نظر في ساعته..

○ عفواً سيد هوجو فأنا لم أفهمك تماماً، ماذا تقصد بالصيام الفكري؟

● أقصد التعب للحصول على الشيء يزيده قيمة في عينيك، يجعلك تعرف قيمته ويدفعك للحفاظ عليه كما الصيام تماماً، فانقطاعك عن متع الحياة لفترة من الزمن يجعلك تقدر هذه المتع أكثر وتحافظ عليها مبتعداً عن التبذير والإسراف فيها.

○ ولهذا السبب لن تعطيني الحقيقة جاهزةً ، بل تريدني أن أتعب لأحصل عليها..

● بالضبط، الآن أستطيع القول إنك جاهز لبدء رحلة البحث عن الحقيقة التي قضيت عقوداً من عمري حتى حصلت عليها، ويمكنك بدورك امتلاكها في أسابيع إلى أشهر إن أردت و أحسنت البحث و الاصغاء ..

○ بالطبع أريد، و سأفرّغ وقتي بالكامل لها، ماذا يتوجّب عليّ فعله الآن ؟

● لا تتعجل كما نصحتك منذ قليل، أكمل الآن سياحتك في **ميلانو و روما و فينيسيا** وعندما تعود إلى **فلورنسا** سأخبرك بأولى الخطوات عبر الهاتف.. أما الآن، فلقد تأخرت على موعدي ساعةً كاملةً وهذا ليس مناسباً ، دوّن لي رقمك الخلوي على ورقة وانتظر مكالمة أو رسالة مني سيد بيرلو...

لقد تشرفت بمعرفتك واستمتعت بالحديث والنقاش الذي دار بيننا .. أنا متيقّن أن حوارنا القادم بعد انتهاء رحلتك سيكون شيقاً أكثر، إلى اللقاء ..

○ مشاعر متبادلة سيد هوجو.. إلى اللقاء...

تناول الورقة من بيرلو ثم وضع قبعته على رأسه ، لكن قبل أن يغادر المقهى نظر إليه بعينيه الثاقبتين ..

● تذكر سيد بيرلو، إن الموضوع برمته حول **الزيتونة**.. الزيتونة لا تنسَ ذلك..

خرج من باب المقهى و تلفت حوله بقلق مجدداً ثم استدار إلى اليمين و سرعان ما اختفى دون أن يترك فرصة لبيرلو بالحديث، الرد أو حتى التفكير..

*****

المعطف ..

قصة قصيرة من تأليف الروائي الروسي الكبير **نيقولاي غوغول** ، تحكي قصة معطف رجل يدعى أكاكي أكاكيفتش ، و هي قصة إنسانية قال عنها الروائي الشهير **تورغينيف**: (كلنا خرجنا من معطف غوغول)

أكاكي إنسان ساذج فقير معدم لا يملك من حطام الدنيا

شيئاً بل لم يكن يطمح لامتلاك أي شيء .. كان ينظر للأشياء وكأنها غير موجودة أو أنها ليست له .

عاش في غرفة مستأجرة صغيرة ومعتمة بمفرده .. وكان يملك بدلة واحدة أصبحت قديمة ومهلهلة ، مع ذلك لم يكن يتذمر أبداً ، ولم يكن يشتكي لاحد كما لم يطلب أي شيء من الاخرين .. فكل الأيام عنده تشبه بعضها .. هذا الرجل كان لديه حلم وحيد في حياته و هو شراء معطف جديد ، لأن معطفه القديم قد خرج من الخدمة ولم يعد صالحاً للاستخدام وليس هناك إمكانية لإصلاحه أو ترقيعه و البرد في روسيا قاتل ..

وفعلا ذهب أكاكي إلي الخياط ليخيط له معطفاً جديداً . لكن من أين يأتي بالمال ؟

الراتب بالكاد يكفي الأكل والشرب !!

فكر الرجل .. ولم يجد حلاً سوى التقشف لمدة سنة كاملة حتي يدخر ثمن المعطف .. تخيلوا أنه توقف عن شرب الشاي قبل النوم مع أنها المتعة الوحيدة التي لديه ، ولم يعد يشعل قنديل المصباح ليلاً ليوفر ثمن الزيت .. بل وصل به الأمر لإلغاء وجبة العشاء ، و عندما كان يذهب إلى العمل ، كان يمشي علي رؤوس أصابع قدميه ليحافظ علي حذائه لأطول فترة ممكنة كي لا يضطر لشراء حذاء جديد وذلك بغية توفير ثمن المعطف ..

فخلال هذه السنة تحول المعطف إلي هدف وغاية كان يفكر به طوال الوقت ويشاهده في أحلامه ، وكل اسبوع كان يذهب الي الخياط ليطمئن علي المعطف ..

مرت السنة وانتهي التقشف وأتي يوم التسليم .. وعندما أرتدى المعطف أوشك أن يصاب بنوبة قلبية من شدة الفرح و حينما خرج إلي الشارع كاد يطير فرحاً وخاصة عندما شعر بثقل المعطف علي كتفيه .. هذه المرة كان يضحك من أعماقه ..

ذهب إلي العمل في اليوم التالي ليجد زملاء العمل ينظرون إليه نظرة دهشة كونه يرتدي معطفاً جديداً !!. و بسبب مظهره الأنيق الجديد دعاه أحد الزملاء إلي عيد ميلاده لأول مرة .. و بالفعل ذهب الي الحفلة و هو يشعر بأنه لا يزال علي قيد الحياة وبأن لوجوده قيمة ..

لكن للأسف ، لم تدم الفرحة طويلاً .. ففي طريق عودته هاجمه بعض اللصوص واشبعوه ضرباً ثم سرقوا المعطف منه فانفطر قلبه ..

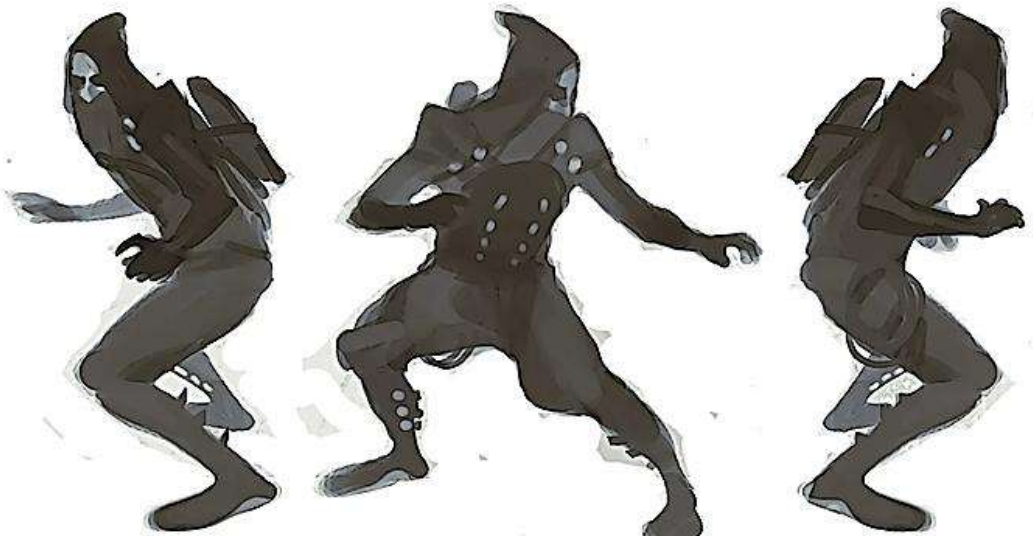

وبالرغم من صراخه البائس واليائس لم يساعده أحد من المارة وظل مرمياً على الأرض يرتجف من شدة البرد ومن شدة القهر والضعف والحزن ، الي أن استجمع قواه وقصد أحد مراكز الشرطة لتساعده في كشف المجرمين أو في محاولة إعادة المعطف له ، لكن المحقق هناك نظر إليه نظرة عدم اكتراث وقال له إنه لن يضيع وقته في مسالة تافهة كسرقة معطف ..

فعاد أكاكي الي الشارع مرة أخري ليتعرض لهجوم من نوع آخر ، هجوم البرد القارس و مرارة القهر .. فحطم البرد عظامه من الداخل ليعود الي غرفته و هو يهذي بكلمة واحدة فقط .. المعطف .. المعطف .. المعطف ..و بات يراه في كل مكان .. في اليوم التالي مات صاحب المعطف من البرد و القهر ، ومع كل شتاء

كانت روح صاحب المعطف البائسة تمشي في شوارع مدينة سان بطرسبرغ الروسية لتنتقم من كل إنسان يمتلك معطف و لا يعرف قيمة ذلك ..

في هذه القصة المؤلمة بحق و المنتشرة في مختلف أرجاء العالم باختلاف الأشخاص و مع استبدال المعطف بأشياء أخرى ، تكمن عبرة من أعمق عبر الحياة ، و هي الكم الهائل من النعم التي نملكها بين أيدينا و لا نعرف قيمتها الحقيقية بسبب امتلاكنا لها ، في حين يدرك تلك القيمة بشكل مهول كل إنسان حرم منها .. فكم نملك من (**معطف**) و نتعامل معه بازدراء في حين أنه حلم الحياة بالنسبة لآخرين .. المعطف الذي قد يكون زوجة أو أبناء أو منزل أو سيارة أو وظيفة أو صحة أو مال و غيره .. و هذه المغالطة البينة تعتبر واحدة من أشيع المغالطات في حياتنا إذ يقع في شباكها كل البشر خلال حياتهم .. لذلك تستحق منا أن نقاربها بعمق و تفصيل أكثر كي نفهم جيداً الأسباب الكامنة خلفها لتفاديها إن أمكن ، و لإنجاز ذلك سنقوم بتحليلها من عدة محاور هامة للغاية :

- **الصيام الفكري ..**
- **لا قيمة لشيء في متناول اليد ..**
- **خوارزمية إدراك قيمة النعمة ..**

لذا لا تجعل امتلاكك لهذا الكتاب مجاناً يجعلك تستهين

بمحتواه أو تتجاهله ، بل ابذل قليلاً من الجهد لقراءته و التفكر في هذه المغالطة على وجه الخصوص علها تكون دفعة لك لتقدير كل النعم التي تملكها بين يديك و تجهل قيمتها الحقيقية ..

أولاً ، الصيام الفكري ..

كما أوردنا في مقدمة مغالطتنا **الصيام الفكري** مفهوم عميق و هام للغاية رغم أنه يقوم على مبدأ بسيط :

(بذل الجهد للحصول على الشيء يجعلك تشعر بقيمته أكثر و بالتالي تصونه و تحافظ عليه أكثر)

و هذا المفهوم ليس ببعيد عن مفهوم **الصيام التقليدي** ، فحرمان الإنسان من الملذات بطيفها الواسع لفترة من الزمن يجعله يقدر قيمتها أكثر فيحافظ عليها و يستلذ بها أكثر .. لكن الصيام الفكري أشمل و أعمق ، فهو يشمل كل شيء في حياتنا حرفياً مادياً كان أم معنوياً ..

و خير مثال على هذا المفهوم هو **المال** ، فمثلاً بالمقارنة بين الأبناء لآباء أغنياء و فقراء ، نجد أن الابن الذي يأتي إلى الدنيا في عائلة غنية تمنحه كل شيء ، لا يقدر قيمة الأشياء و يعتبرها من بديهيات الحياة ، لذلك يمكنه أن يبذرها أو حتى يبددها بسهولة

حتى يصل إلى الإفلاس ، على عكس الابن الذي يأتي إلى الحياة في عائلة فقيرة ، فيشعر تماماً بقيمة النعمة و المال و يشق طريقه في الحياة بجد و اجتهاد كي يخرج من بيئته القاسية هذه لكنه إن أصبح غنياً فسيعرف بالضبط كيف يصون ثروته و يحافظ عليها لاحقاً ..

و على المقلب الآخر للمادة نجد **الدين** ، فالابن الذي يولد في بيئة دينية قويمة كثيراً ما يستهين بهذه النعمة و من الممكن أن ينحرف في فترة من حياته عن جادة الصواب .. على عكس الشخص الذي تربى في بيئة فاسدة و ضالة ، فمن المرجح أن يهتدي لاحقاً في حياته و إلى الأبد لأنه بات يعلم جيداً قيمة الدين و الأخلاق في الحياة و أنها بهما أجمل بكثير ..

و لهذا السبب بالضبط إن راجعت صفحات التاريخ و بحثت في حياة **العظماء** كلهم فستجد أن القاسم المشترك بينهم هو **حياة صعبة في الشق الأول من العمر** جعلتهم يفهمون حقيقة الحياة و قيمة النعم و الأشياء لذا تابعوا الشق الثاني من عمرهم بالالتزام و تحقيق الإنجازات بعيداً عن الإسراف و التبذير المادي أو المعنوي أو الوقتي .. فالسماء تسلك في تعاملها مع الإنسان سلوك القوس و السهم ، فهي بحرمانها للإنسان من بعض الأمور ترجع السهم إلى الوراء ثم بتعويضه بالنعم ينطلق سهم الإنجاز و تقدير النعم بقوة نحو الأمام ..

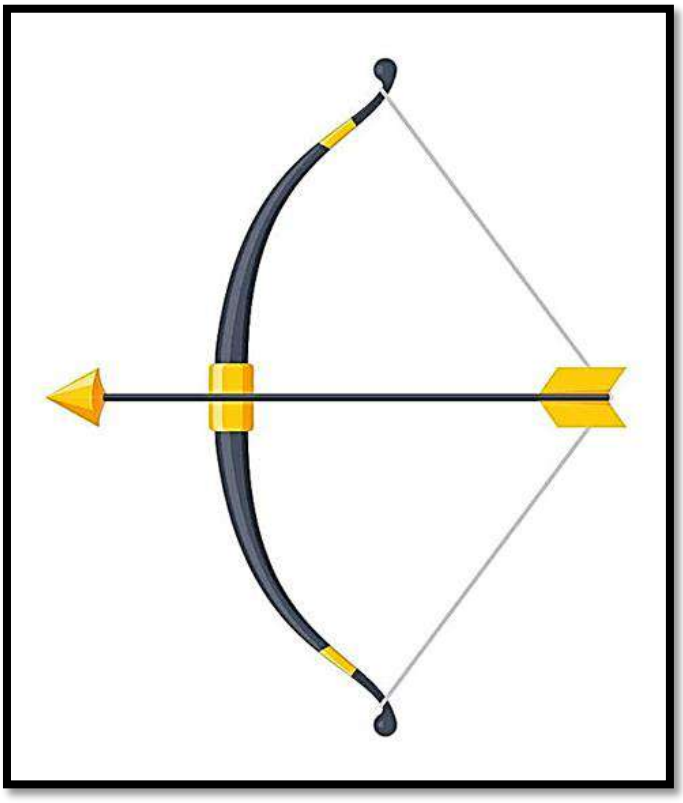

ثانياً ، لا قيمة لشيء في متناول اليد ..

هذا المفهوم يتشابك مع مفهوم الصيام الفكري ،

فالشيء الموجود بين أيدينا يمنحنا إحساساً وهمياً بأنه :

- **بديهي ، و نستحقه بلا سبب ..**
- **دائم و أبدي ، و سيرافقنا إلى مماتنا ..**

فيتولد لدينا يقين بأن كل ما نملكه في حياتنا واقع لا بديل له في فلسفة الحياة و خلق الإنسان ، لكن في الحقيقة الحياة ليست كذلك ، بل هي دورات من مد و جزر للنعم .. و لا يدري الإنسان متى يصحو من النوم ليجد الأمور قلبت رأساً على عقب و اختفت تلك النعم من بين يديه .. و عندها فقط سيشعر بالقيمة الحقيقية لتلك النعم ، كما يقول الطبيب و الأديب الروسي الكبير **أنطون تشيخوف** :

(لا يشعر البشر بقيمة ما يملكونه إن كان وفيراً، فنحن لا نقدّر ما نملك بل وحتى لا نحبه)

أو كما يقول المثل الشعبي الشهير :

(لا ندرك قيمة الشيء حتى نفقده)

و بالعودة إلى مقدمة مغالطتنا فالفلاح الذي عثر على الحجر الكريم بسهولة لم يمنحه أي قيمة فرماه ، أما صديقنا أكاكي الذي حرم من المعطف أصبح يراه كل الحياة و يتمسك به بيديه و أسنانه .. و كم من أحجار كريمة في حياتنا منحتنا إياها السماء مجاناً و نرميها

خارج حقلنا ببساطة و رعونة في حين أنها بالنسبة لآخرين ثروة لا تقدر بثمن !!

و القاعدة العامة للسماء في تعاملها مع البشر هي :

(لا شيء تملكه حق لك ، فإما أن تثبت للسماء أنك تستحقه بتقدير قيمته و صونه و الحفاظ عليه ، أو أنك ستخسره ذات يوم لا محالة كي تقدر قيمته بالطريقة الصعبة و تسعى للحصول عليه مجدداً بمشقة و عندها ستحافظ عليه بنفسك بدون ضغط خارجي لأنك بذلت الجهد حتى امتلكته)

و هذه القاعدة تنطبق على كل مجالات الحياة (الأمان ، الصحة ، المال ، الدين ، العائلة ، العمل ، المنزل ، الوطن .. إلخ) ..

ثالثاً ، خوارزمية إدراك قيمة النعمة ..

نعم السماء علينا لا تعد و لا تحصى ، فكل شيء حرفياً من حولك عزيزي القارئ تملكه بدون جهد و بالمجان هو نعمة مسؤول عنها أمام السماء ، و هي ببساطة تجربك لترى هل أنت أهل لاستحقاق هذه النعم أم لا ، فإن كان الجواب نعم أغدقت عليك بالمزيد ، و إن كان الجواب لا ، بدأت تشعر بانحسار النعم من حولك بدون مقدمات .. و لكي نؤكد للسماء أننا أهل لاستقبال النعم علينا اتباع الخوارزمية التالية :

❁ **الإيمان التام أن لا شيء مجاني في الحياة** : بمعنى أن النعم التي نملكها ليست شيئاً بديهياً من صلب الحياة و نستحقه بمجرد أن أتينا إليها ..

❁ **إدراك أهمية النعم في حياتنا** : و هذا أهم بند ، إذ متى فقد الإنسان الشعور بأهمية الشيء فهذا نذير شؤم بأنه سيفقده قريباً ..

❁ **صون النعمة و الحفاظ عليها** : و أبسط مثال على ذلك هو هدر الطعام ، فعلى الإنسان أن يأكل بقدر حاجته و في حال تبقى طعام إضافي عليه أن يوزعه على المحتاجين ..

❁ **شكر السماء على النعم** : فبالشكر تدوم النعم بل و

تتضاعف أيضاً .. ومن أجمل العادات المتبعة حول العالم في هذا السياق هو **عيد الشكر** في أمريكا ، الذي يخصص فيه الناس يوماً لشكر السماء على نعمها ..

❁ **تجربة الحرمان من النعم لفترة من الزمن**: كي نعزز البنود السابقة كلها عملياً ، و هنا يأتي دور الصيام الفكري و التقليدي الذي يمنحك تجربة مجانية لتحقيق ذلك .. و أحياناً تأتي هذه التجربة من السماء كابتلاءات عصيبة مؤقتة تمنح الإنسان دروساً بليغة في تقدير قيمة النعم ثم تنحسر ، كما قال البارئ :

(و لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين)

❁ **الإحساس بالآخرين الذين حرمتهم الحياة من نعم نملكها بأنفسنا** : بأن نشاطرهم جزءاً من هذه النعم ، و

أبسط مثال على ذلك هي الصدقة .. فنحن بهذه الطريقة نعيش تجربة فقدان النعمة بدون أن نفقدها على أرض الواقع بمقاسمة هؤلاء تجربتهم و مشاعرهم ..

❁ **تربية الأطفال على هذه الخوارزمية** : فالمرء ينشأ على ما قد علمه أباه ، و الطفل يأتي إلى هذه الحياة بقناعة أن كل شيء من حوله بديهي و دائم ، و بأن حياته ستستمر على هذا المنوال مما يولد في أعماقه شعوراً بالاستهتار بالنعم و التعامي عن قيمتها الحقيقية ، و هنا يأتي دور الآباء في شرح الحقيقة لهم و تعليمهم البنود السابقة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الصيام الفكري**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الحياة هي كما تعرفت عليها طفلاً ، بكل نعمها التي تحيط بي ، و ستستمر هكذا حتى أموت ..

بل أن نقول :

= لا شيء بالحياة حقيقي أو مجاني .. الحياة تمنحك نعمة و تراقبك .. فإن أنت قدرتها حق قدرها و صنتها ، أبقت عليها بل و ضاعفتها ، و إن أنت استهترت بها و بذرتها انتزعتها منك و جعلتك تقاتل بمفردك كي تحصل عليها من جديد ، لأنك في هذه الحالة فقط ستفهم

قيمتها بعد أن بذلت الجهد فتحافظ عليها من تلقاء نفسك

من الأقوال المأثورة في أرشيف التاريخ :

(كنت أحزن لأني لم أكن أملك حذاءً ولكني توقفت عن الحزن لما رأيت رجلاً بدون قدمين)

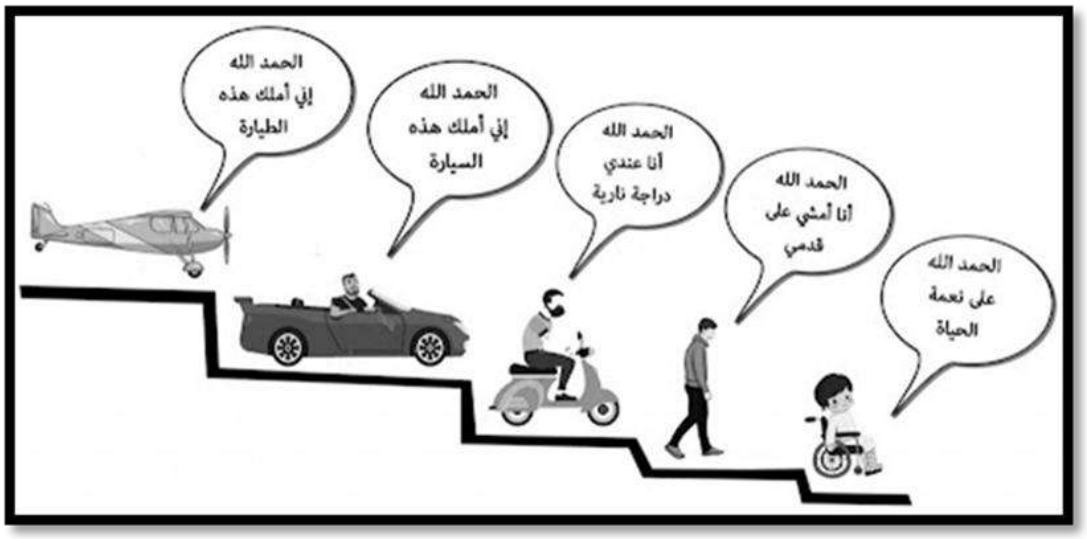

و هذه المقولة تشرح مفهوماً هاماً للغاية نختم به مغالطتنا و هو مفهوم **التعاضد النفسي** ، فرؤيتنا لأشخاص من حولنا حرموا من أشياء نملكها يجعلنا نشعر بقيمتها و نصونها و نحمد الله عليها .. لذا تذكر عزيزي القارئ بأن مقابل أي شيء لا تملكه هنالك مئات الأشياء التي تملكها و لا يملكها غيرك .. و بالمحصلة السماء وزعت النعم على البشر بالعدل لا بالتساوي ..

أثر الإلكترون

(و اطمأنّ قلبي)

في إحدى البارات الحديثة وسط عاصمة ساحل العاج **أبيدجان** جلس شاب في أواخر الأربعينيات من العمر أشقر الشعر و قد غطى الشيب صدغيه قليلاً كتصحّرٍ ماكرٍ ينهش في الغابات تدريجياً ليترجم قسوة الحياة عليه ، معالمه حادة و جادة كنصل سيف ويليام والاس و هو يقود حرب اسكتلندا ضد إنجلترا ، لكنك إن أمعنت النظر أكثر ، رأيت أنها تخفي خلفها ملامح ودودة في الأساس لكن الزمن مّر من هناك فترك بصماته عليها .. على البار أمامه انتصب كأس مشروب روحي لا ينسجم أبداً مع قناعاته التي تشكك كثيراً بوجود الروح ، في حين أخذ الرجل من مكانه يتأمل طاولات البار المبعثرة و يحدق في ملامح كل شخص عليها .. إن وراء كل وجه منهم حكايته الخاصة ، و لو قدر لألفريد هتشكوك بنفسه أن يعرفها لما صدق حيثياتها .. فالواقع على الدوام أغرب من الخيال..

أمسك هاتفه الخلوي و فتحه ليقرأ تعليق قناة (**متعة العلم**) على مداخلته على الفيديو الأخير فيها الذي يتناول معرفة السيد المسيح بعلوم الفيزياء و تحليل معجزاته من خلالها كالسير على الماء أو إحياء الميت، قناة الشاب تحمل اسم **الكمنجة الكونية** .. و كان تعليقه على ذلك الفيديو :

(هنالك مبدأ فيزيائي آخر يدعى مبدأ الشك أو عدم اليقين لهايزين بيرغ الذي يقول بأن كل ما ذكرته هذه القناة المحترمة يحتمل الصواب و الخطأ .. فلا شيء

مؤكد في هذا الكون.. ربما لم يكن المسيح موجوداً أو أنه لم يكن نبياً أو أنه ادعى النبوءة .. حتى الله نفسه الذي أرسله ربما ليس موجوداً بالأساس ، فهل لديكم دليل مادي محسوس على وجود هذا الإله بحسب قوانين و دراسات الفيزياء التي تتحدثون عنها و تزعمون أنّ المسيح كان على دراية بها ؟!!..)

أما رد قناة (**متعة العلم**) على تعليقه فكان غريباً ..

(شكراً على مداخلتك أخي أو أختي .. وجهة نظر جميلة سأرد عليها بالفيزياء نفسها .. الفيزياء تؤمن بأن إثبات وجود أي شيء يكون بإحدى طريقتين .. إما أن تراه بعينك و إما أن ترى آثاره التي لم تخلق من العدم بحسب قانون السببية .. فمثلاً الإلكترون مثبت أنه موجود فيزيائياً رغم أن أحدا لم يره ، و لكن بحسب كثير من التجارب كتجربة الأشعة المهبطية اكتشف العلماء آثاره فعرفوا أنه موجود حتماً ، و الله كالإلكترون تماماً لا نراه لكن آثاره في كل شيء من حولنا .. و من يريد التغاضي و التعامي عن هذه الآثار .. فهو حرّ بالطبع و لكنه يخالف علم الفيزياء نفسه الذي يتحدث بمنطقه !!..)

ابتسم بدهشة .. أحسنت اللعب يا صديقي ! قال لنفسه ثم فكر قليلاً بكيفية الرد .. لكن في تلك اللحظة دخلت البار فتاة في الثلاثينيات ، سمراء جذابة بملابس مثيرة

كحمامة ملونة مغناج تمشي الهوينى على الأرض متجهة مباشرة نحوه ثم حطت على كرسي بجانبه بحكم أنه الكرسي الوحيد الشاغر .. طلبت كأس مشروب بدورها..

بحكم طبيعة البارات و تجاور كرسيهما .. فلم يكن هنالك مناص من أن يدور بينهما حديث ما..

التفتت الشابة إليه و ابتسمت بدهشة ، ما الذي يفعله هذا الأجنبي الاشقر في بار مخصص للأفارقة !؟ .. ابتسم لها بالمقابل و هو يرمق الصليب الذهبي المعلق على رقبتها مع مجسم المسيح عليه .. وضع هاتفه جانباً و خاطبها :

= كأس مشروب في نهاية يوم طويل لا مثيل له .. يذهب جميع الهموم..

= بالفعل .. تنسى اللحظات العصيبة التي مررت بها نهاراً ..

= بيتر إيفانز ..

= من أوروبا ؟

= والدي أوروبي .. أما والدتي فمن هنا ..

= وشم ستيفين هوكينغ بكرسيه الشهير على ساعدك يخبرني بأنك عاشق للعلوم ..

= نظرة ثاقبة .. أنا أستاذ في الفيزياء و الرياضيات ..

= تشرفت بمعرفتك .. أنا كريستينا براون .. عارضة أزياء..

ابتسم ..

= هذا واضح و جليّ من جمالك الساحر .. و أناقتك المذهلة .. إن المسيح محظوظ بالوجود على عنق حسناء مثلك .. أنا على بعد خطوة واحدة من العودة لحضور قداس الأحد مجددً .. فهذا الجمال الساحر لابدّ أنه من صنع إله..

قابلته بابتسامة مجاملة ..

= أشكرك .. أنت شخص ملحد إذاً ..

= ليس بالضبط .. أنا أتبع الفلسفة اللا أدرية..

= لا أدرية !

= أجل .. فلسفة تعتمد على كلمتي لا أدري في الإجابة

على كافة التساؤلات التي لم يثبتها العلم بعد .. و منها وجود الإله من عدمه .. فنحن لا نستطيع إثبات ذلك علمياً .. كما أننا بنفس الوقت لا نستطيع نفيه أيضاً .. أنت متدينة على ما يبدو ؟

= بلى .. ربما ليس هنالك دليل محسوس على وجود خالق للكون ، لكن هنالك آثار تدل على وجوده بلا شك ، و منها حوادث عديدة جرت معي في حياتي ..

= لكل شيء تفسير علمي في هذا الكون .. لكننا نعزي كل شيء نعجز عن تفسيره إلى قوة غيبية .. و كما يقال

(الإله حاجة و ضرورة .. لو لم يوجد .. لخلقناه بأنفسنا)

= وجهة نظر .. لكن من وحي عملك كأستاذ فيزياء .. هنالك مقولة قرأتها ذات مرة على موقع التواصل الاجتماعي و أعجبت بها فعلاً ذات صلة بنقاشنا هذا ، و رغم جهلي الكامل بالفيزياء لكنني فهمت المغزى الرئيسي منها..

= أثرت فضولي .. علامَ تنصّ ؟

= تقول على ما أذكر :

(الله مثل الإلكترون تماماً .. لا يمكننا رؤيته .. لكننا نرى آثاره بشكل واضح)

= صحيح ، عبارة شهيرة في أوساط الفيزياء .. و هي غريبة و معبرة بالفعل .. و الغريب أكثر أنها ثاني مرة أسمعها هذا اليوم و كأنها إشارة إلى شيء ما !!! على كل حال بسبب هذا المنطق الجميل الذي تحدثت عنه .. فأنا لست شخصاً ملحداً بالكامل .. بل لا أدريّ فحسب ، و يمكنني القول أنّ المسيح على رقبتك أزاحني كالإلكترون من مدار بعيد عن نواة الإيمان إلى مدار أقرب إليها محرراً طاقة هائلة في داخلي ، كما يفعل الإلكترون بالفعل عندما يقترب من النواة..

كانت كريستينا قد أنهت المشروب أمامها فنهضت مبتسمة و قد فهمت ما يرمي إليه ..

= جميل .. وفر هذه الطاقة للأيام الصعبة ، فالدنيا تتغير في غمضة عين .. الآن اعذرني عليّ المغادرة فقد تأخر الوقت و مررت هنا لأجل المشروب فقط .. سررت بالتعرف عليك و بالحديث معك..

= مشاعر متبادلة ، رافقتك السلامة .. فليحرسك أبونا الذي في السموات..

ابتسمت كريستينا و اتجهت نحو الباب حتى خرجت و ابتلعها الظالم كأنها كانت طيفاً عابراً أو حلماً ..

هز الأستاذ بيتر رأسه بدهشة ثم طلب كأس مشروب آخر.. لقد أثارت كريستينا صراعاً داخلياً قديماً في أعماقه بين حقيقة وجود الإله من عدمه..

*****

هل الإله موجود بالفعل ؟

سؤال طرحه مليارات من البشر عبر الزمن خلال فترات مختلفة من حياتهم و شكل صراعاً داخلياً هائلاً في ذواتهم .. و لا شكّ أن تكرار هذا السؤال باستمرار له ما يبرره على أرض الواقع ، فالجواب عليه مصيري و سيغير قناعات الإنسان جذرياً ، لأنّ الفارق هائل بين أن يكون مصيره إلى العدم بعد موته أو أن يكون مصيره الخلود بعده ، كما أنّ ذلك سيحدد طبيعة حياته المستقبلية و طريقة تعامله مع البشر الآخرين و الظروف و الحياة ككل من حوله .. و هذا السؤال الغامض الذي دار و يدور كزوبعة في عقول المليارات هو عمود الخيمة في مغالطتنا الجديدة بعنوان (**أثر الالكترون**) لينبثق عنه سؤال محوري ثانٍ :

(هل إلحاد بعض البشر و إنكارهم لوجود خالق للكون منطقيّ و مبرر ، أم أنه مغالطة جديدة كغيرها من مغالطات الحياة ؟)

للإجابة على هذا السؤال بشكل مناسب و وافٍ كما آمل سنقوم بمقاربته عبر زاويتين :

① **ذرائع الملحد في إنكاره وجود الله ..**

② **دلائل وجود الله ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نسافر معاً خلال مغالطتنا

الحساسة و الهامة هذه في مغامرة شيقة نشق فيها الفضاء الكوني لنصل إلى حدود الكون و نكتشف هل هذا الكون بلا حدود أي لا خالق له ؟! أم أن له حدوداً بالفعل يمكننا تجاوزها لنبلغ العالم الآخر أو الكون الأكبر ليكون الله حقيقة ثابتة لا شك فيها ..؟!

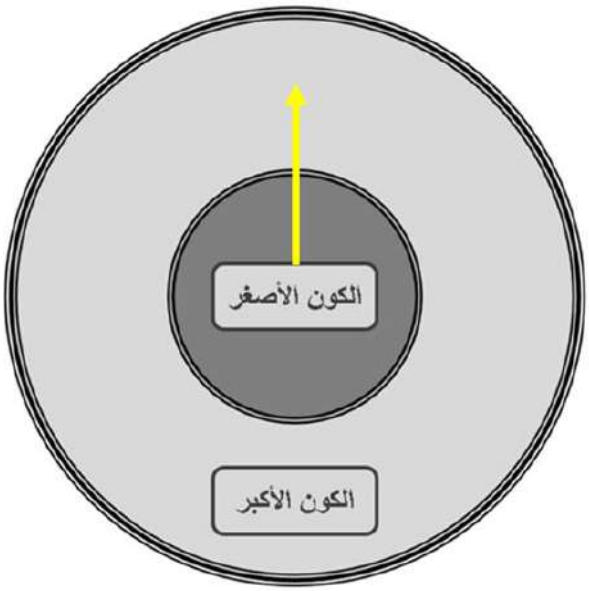

❁ ذرائع الملحد في إنكاره وجود الله :

يصنف الملحدون بشكل عام إلى نوعين :

- **الملحد الموجب** : يستعين بنظريات علمية و فلسفية لإثبات عدم وجود الله ..
- **الملحد السالب** : يكتفي فقط بعدم الإيمان بوجود الله نظراً لعدم قناعته بالأدلة التي يقدمها المؤمنون بوجوده أو بطبيعة الأديان ..

و بناء على هذا التصنيف يمكننا تقسيم ذرائع الملحدين إلى نوعين بدورها :

ذرائع علمية تقدس المادة و تؤمن بأزلية الكون و بتطور الإنسان من خلية وحيدة : و الحقيقية الغريبة

و المثيرة هنا أنّ جميع هذه الذرائع لا تتناقض إطلاقاً مع وجود الله ، فالله :

۞ جعل العلم و بالتالي المادة مقدّسين و أمرنا باتباع قوانينهما لتفسير ظواهر الحياة من حولنا ، فالله خلق الكون وفق قوانين علمية تجري بثبات مستمرّ و الدين ينبغي ألا يتعارض مع العلم كما أكد الخالق .. و لا ننسَ مقولة نبي الرحمة محمد الشهيرة و التي تختصر كل شيء عندما سأله أحد الناس : (**هل أترك ناقتي و أتوكل**) ، فأجابه : (**اعقلها و توكل**) أي اربطها و اتبع قوانين العلم ثم توكل على الله ..

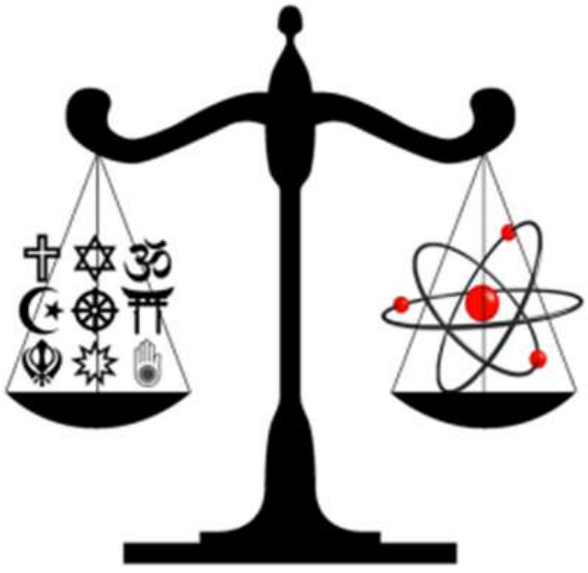

۞ يصف نفسه في الأديان بأنه أزلي فيقول عن نفسه بأنه (**الأول بلا بداية**) فلماذا يسهل علينا الأيمان ببساطة بأنّ الكون أزلي بلا بداية و يصعب علينا

الإيمان بأن خالق الكون أزلي بحد ذاته كهذا الكون بالضبط !؟

۞ لم ينفِ تطور الإنسان ، فالتطور البشري لا يتعارض مع فكرة الخلق ، بل قد يكون وسيلة إلهية لتكوين الإنسان و لا ننسَ أن الإنسان يتكون حرفياً من خلية وحيدة في البدء (**البويضة الملقحة**) و يمر خلال تطوره كجنين بمراحل يكون فيها قبيح الشكل و ناقص التكوين حتى يكتمل نموه تماماً و يولد أخيراً كطفل جميل محبب للقلوب ، أوليس هذا هو جوهر عملية التطور ؟! و بجميع الأحوال ما يهمّ فعلياً أنّ النتيجة النهائية للإنسان سواء خُلق دفعة واحدة أو عبر عملية تطورية هي كونه (**في أحسن تقويم**) و لا يمكن إطلاقاً للصدفة و العمليات العشوائية أن تنتج هذا المخلوق الفريد كمعجزة ربانية حقيقية بحد ذاته..

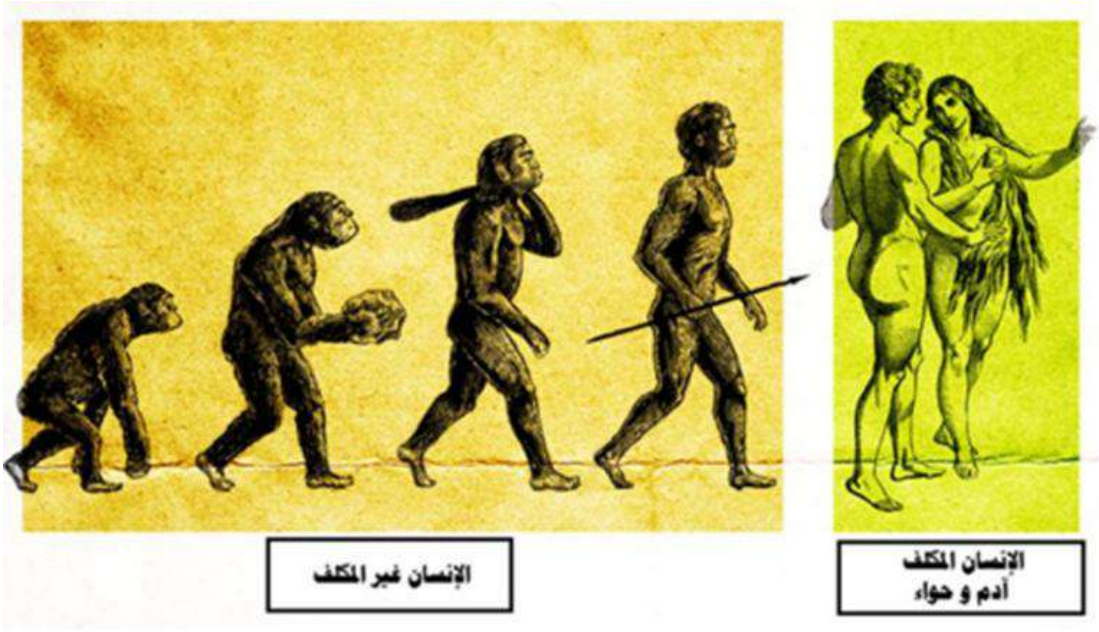

● **ذريعة عدم الاقتناع بمضمون الأديان** : لاشك أن

الاختلافات الجوهرية في بعض النقاط بين الأديان و التشويه الذي طال نقاطاً أخرى كثيرة عبر الزمن على يد الحكام و كهنة الدين ، خلقت بذرة شك كبيرة في نفوس بعض البشر تجاه هذه الأديان ، لكن هذا لا يبرر الإلحاد أبداً ، فلا يمكننا أن نغفل عن **4** حقائق هامة في هذا الصدد :

◉ تلاعب البشر بالأديان بعد موت الأنبياء كما قلنا و سوء فهم الدين يفسّران الجانب المظلم للأديان ، و القصور هنا هو قصور بشري و ليس سماوي ..

◉ للأديان وجه جميل آخر لا يمكن نسفه و تجاهله ، يبني الإنسان و المجتمع و ينظم شؤون الحياة في كافة النواحي و يربط وجودنا بغاية ذات معنى بعد الموت ..

◉ الأهم من ذلك كله أن **الإيمان و التدين ليسا وجهين لعملة واحدة** .. فإن أنت لم تعجب بمضمون الأديان فذلك لا يعني أنّ الله غير موجود بل هذه مغالطة كبيرة بحد ذاتها .. فيمكنك أن تكون مؤمناً بوجود خالق و غير متدين مثلاً !!

◉ لا ننسَ بأنّ الله رحيم و ديمقراطي مع عباده فلا يجبرهم على الإيمان بالقوة و التهديد كما يصور بعض كهنة الدين ، بل ترك للبشر حرية المعتقد ، بل حتى حرية عدم الإيمان بوجوده فقال بكل وضوح :

(من شاء فليؤمن ، و من شاء فليكفر)

فالله واثق من (**إبداع و إتقان خلقه**) و من (**عظمة العقل الذي منحه للبشر**) و هذان العاملان كفيلان عبر **التفاعل مع بعضهما** بالوصول بالإنسان إلى معرفة خالقه و المسألة مسألة وقت و اختبارات مع بعض المعجزات و الحوادث غير المفسرة لا أكثر و التي تنتهي بالإنسان إلى الإيمان بوجود قوة غيبية خلقت الكون و تسير أحداثه كما خلقته كإنسان و تسير حياته الشخصية بنفس الوقت .. دون أن نغفل أهم حقيقة في الحياة بأنّ غاية الله ليست إقناع البشر بوجوده فهو أجلّ و أكبر و أعلى من ذلك ، بل بناء الإنسان و إعداده كي يصبح مؤهلاً للحياة في دار البقاء بعد القيامة ..

و في الحقيقة و كختام لهذه النقطة ، ما من إنسان ينكر وجود الله بسبب أدلة منطقية دامغة يقّدمها بل أغلب حججه و ذرائعه لا تتناقض مع وجود الله بالأساس (من قوانين العلم التي تحكم الكون إلى التطور إلى التشكيك بالأديان) ، بل إلحاده قائم على خلفية :

- ظروف صعبة عاشها في طفولته أو في حياته اللاحقة بسبب مدّعيي التدين فنفروه من الدين ..
- ظروف حياتية قاهرة مرّ بها فنقم على السماء و بالتالي رفض وجود الله ببساطة .. هكذا بلا دليل و لا دراسة على الإطلاق ..
- ظروف نفسية معينة تدفعه للتميز و الاختلاف عن

محيطه ، أي يدعو للإلحاد من باب **خالف تُعرف** ، لا لأسباب منطقية و هذا البند نجده بكثرة عند المراهقين..

أي أن الإلحاد بالمحصلة موضوع نفسي وجداني بحت في أغلب الحالات أو بتعبير آخر هو عتاب من الإنسان لخالقه على ظروف معينة قاسية عاشها لجهله بحكمة الخالق و غاياته النبيلة التي تقف خلف كل شيء ..

❁ دلائل وجود الله :

في الحقيقة كل شيء في هذا الكون المعجز ينطق باسم خالقه و يوحّده ، لكن قبل الحديث عن هذه الدلائل الكثيرة لا بد من التطرق إلى مفهوم هام للغاية و هو :

(أثر الله)

فبالعودة إلى بداية مغالطتنا و الحديث عن أثر الالكترون سنشرح باختصار تجربة علمية بسيطة و هي **تجربة الأشعة المهبطية** لغاية لاحقة بعد قليل :

(هي تجربة كهربائية قديمة أجراها الفيزيائي الإنجليزي **وليام كروكس** باستخدام أنبوب مُفرّغ جزئيًا من الهواء – أنبوب كروكس – وضع فيه قطبين كهربائيين معدنيين على الطرفين **كمهبط** (كمسدس مطلق للالكترونات) و **مصعد** (لوحة مطلية بالفوسفور) ، وعندما قام بتوصيل تيار عالي التوتر متردد بين القطبين ، لاحظ تألّق لوحة المصعد

الفوسفورية فأدرك أنّ ذلك بسبب انطلاق الأشعة

المهبطية (الإلكترونات) من المهبط و اصطدامها بلوحة المصعد، و كان هذا دليلاً علمياً كافياً على وجود الالكترونات بالفعل)

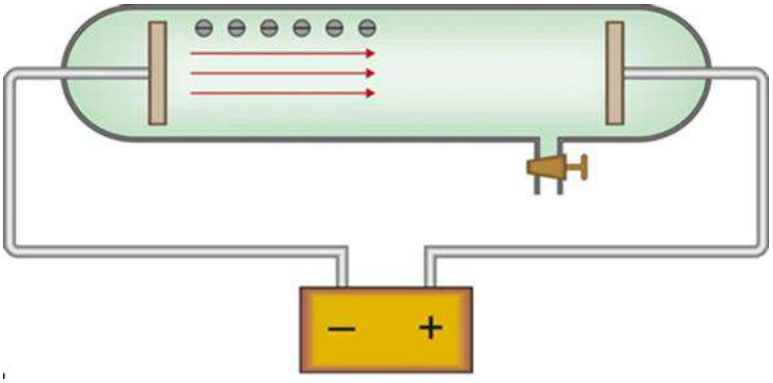

فالعلماء لم يروا الالكترونات حرفياً ، لكنهم آمنوا بيقين أنها موجودة لأنهم رأوا آثارها المتألقة .. وهذا بالضبط ما يفعله الله مع خلقه ، لا يراه البشر فعلياً ، لكن ذلك لا يعني أنه غير موجود ، بل إن البشر يرون آثاره في كل حنايا هذا الكون ، و من هذه الآثار الواضحة (لكلّ من يستعمل عقله) و على سبيل المثال لا الحصر :

- **الإبداع في خلق الكون** : سواءٌ من حيث :

◉ تنوع مخلوقاته من أحياء (إنسان و حيوان و نبات و كائنات دقيقة) أو جماد (فضاء بأجرامه ، جيولوجيا بعناصرها ....) ..

◉ تنظيم سير شؤون الخلق بإتقان و وفق قوانين علمية مادية ثابتة تحكم كل شيء بدقة لا توصف ..

◉ تكامل هذه المخلوقات في وجودها و تفاعلها مع بعضها..

و هذا البند واسع للغاية و لا تكفيه موسوعات لا نهاية لها للإحاطة بعظمة الخلق المبهرة المتجلية في كل تفصيل من تفاصيل هذا الكون ..

- **الأحداث الخارقة للطبيعة** (**المعجزات**) : و التي يدعوها البعض جهلاً (صدفة) و التي تعجز جميع قوانين البشر عن تفسيرها ليبقى وجود الله وحيداً في الميدان كمفسر حقيقي لا شريك له لها ، و لا أشك عزيزي القارئ بأنك بنفسك تعرضت في حياتك لهذا النوع من الأحداث الذي جعلك تستشعر أنامل الخالق و هي تحيكها .. و بالطبع لا ننسَ هنا عشرات المعجزات للأنبياء التي كسرت كل قوانين العلم كإثبات لوجود إله مسيطر على هذه القوانين و متحكم بها كما يشاء كمشي يسوع فوق الماء مثلاً ..

- **جسد الإنسان المعجز** : بتنوع و تعقيد و تكامل أجهزته و أعضائه و بنيته الجزيئية ليجعل منه الله

كياناً قادراً على الوجود و الاستمرار و الاكتشاف و الاختراع و التطور و التفاعل مع غيره و بناء حضارات و فك طلاسم العلوم و الكون ، و بالطبع يتربع على عرش هذا الجسد (العقل البشري) كلغز حقيقي لا نعرف شيئاً عنه حتى اليوم يختزل الكون برمته بين تلافيفه ..

و المفارقة العجيبة في الموضوع أنّ الإنسان يرى صنعه لروبوت إنجازاً إعجازياً لا يمكن أن يتم لوحده دون صانع (الإنسان) في حين يرى الجسد البشري المعجزة الحقيقية أمراً عادياً صنيعة الصدفة و التطور العشوائي و لا يحتاج لصانع (الله) ، فلماذا هذا التناقض في الطبيعة البشرية و الظالم للسماء !!؟

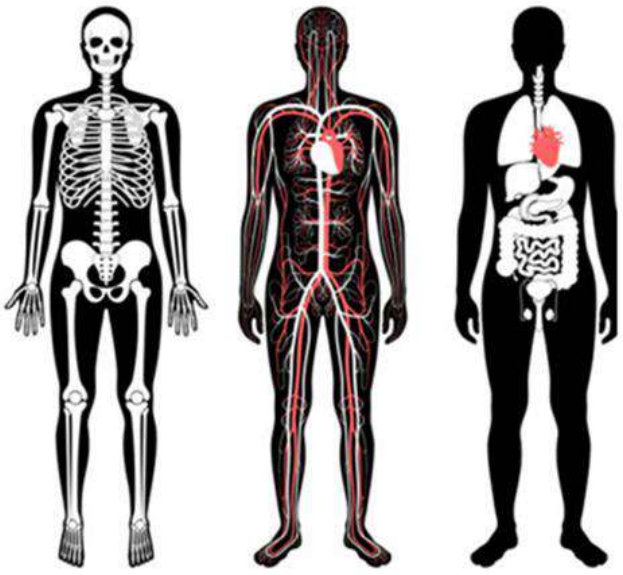

- **حقل الألغام** : فالحياة أشبه بالسير في حقل ألغام بتنوع و غزارة المخاطر المحدقة بالإنسان فيه من قبيل التالي :

- الأمراض و الأوبئة ..
- الموت ..
- الكوارث الطبيعية كالزلازل ، البراكين و الأعاصير
- الحروب بمختلف دوافعها ، سياسية ، دينية ، توسعية ، نهب ثروات ..
- الأزمات البيئية كالتصحّر ، ثقب الأوزون و التلوث..
- الأزمات الاقتصادية ..
- أذى البشر لبعضهم كالسرقة ، الاحتيال ، الاعتداء بأنواعه ، تشويه السمعة ، المكائد ..
- الخسارة بأنواعها ، خسارة وظيفتنا أو دمار منزلنا أو فقد من نحب ..

و رغم كل هذه الألغام نرى البشر يعيشون و يعمّرون و يقضون الأوقات السعيدة ، يحبون و يكوّنون عوائل و أصدقاء و يتفاعلون مع بعضهم ، يتعلمون و يكتشفون و يخترعون ، و تكون لديهم مواهب و وظائف و هوايات متناسبة مع كل منهم ، و لولا وجود خالق متحكم بالكون لما حدث كل ذلك ، و لرأينا الألغام تنفجر بالبشر تباعاً في كل لحظة فيموتون مبكراً و يقضون حياتهم في خوف و قلق و رعب لا يوصف ، لتكون الحياة عبارة عن فوضى و جحيم حقيقيين ..

- **معرفة الغيب** : كما أخبر الأنبياء أقوامهم عن أمور مستقبلية حدثت بالفعل ، و لا تفسير لذلك سوى تواصلهم الفعلي مع قوة غيبية خالقة للكون و عارفة بالغيب و أسرار المستقبل ، من قبيل :
  - إخبار النبي نوح قومه بقدوم الطوفان ..
  - إخبار النبي صالح قومه ثمود بعواقب عقر الناقة ..
  - إخبار السيد المسيح لتلميذه بطرس بأنه سينكره ثلاث مرات قبل صياح الديك في ليلة اعتقاله ..
  - إخبار الرسول محمد لبعض صحابته بمصيرهم كقوله لأبي ذر الغفاري : (تعيش وحيداً و تموت وحيداً و تبعث وحيداً) و هذا ما آلت إليه أموره بالفعل ..
  - علامات قيام الساعة الصغرى و الكبرى ، و التي بدأت بالتحقق تباعاً بالفعل ..

و غيرها من المعجزات ..

● **الغاية من الخلق** : فهذه الغاية التي شرحها الله لنا عبر أنبيائه مقنعة و منطقية و نبيلة لأبعد الحدود ، بأن تكون الحياة الدنيا مرحلة وسيطة قبل الحياة الآخرة في دار البقاء (الجنان) حيث نتعلم في هذه المرحلة :

● **تقدير قيمة النعمة لنصونها في الآخرة** : عبر فلسفة الإشباع و بداية الضياع ..

● **تقدير قيمة الأخلاق** : كالشيء الوحيد الذي لا يمنحك إياه الله من خارجك بل تمنحه لنفسك من داخلك و يساعدك الله على ذلك عبر إعداد تجارب جاهزة و خاصة بكل إنسان حسب موقعه في الحياة ، لنكتشف في النهاية أن الخُلُق هو سرّ الخَلْق .. و بأن الله لن يطالبنا في الآخرة سوى بالتحلي بمكارم الأخلاق ..

لا تجزع من شكك و لا تخجل من إلحادك ، فالإلحاد التام يسبق الإيمان التام بدرجة .. و بتفاعل **الكون العظيم بخلقه** مع **عقل الإنسان العظيم بتكوينه** ستتسطّر أعظم ملاحم الإيمان في حياة كل إنسان بعثه الله إلى هذه الدنيا ، فالله لم يخلقك جزافاً و لن يتخلّى عنك يقيناً ، بل سيطرق بابك في اللحظة المناسبة ذات يوم من حياتك عندما تغدو جاهزاً لذلك ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**أثر الالكترون**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أنا لا أؤمن بالله لأنني لا أراه ..

بل أن نقول :

= الله لم يُرَ بل بالعقل عُرف .. و آثار الله في هذا الكون كآثار الأشعة المهبطية التي أثبتت وجود الالكترونات دون أن نراها ، تجعلنا نؤمن يقيناً بوجود إله لم نره ..

و ألا نقول :

= أنا أرفض وجود الله ، لأن بعض المتدينين و رجال الدين نفّروني من السماء ..

بل أن نقول :

= الإيمان شيء و الأديان و التدين شيء آخر فلا يجب

أن نخلط بينهما ..

و ألا نقول :

= أنا ملحد لأنني أؤمن بالعلم و قوانينه ..

بل أن نقول :

= العلم لا يعني عدم وجود الله ، بل إنّ الله خلق الكون وفق قوانين علمية مادية ثابتة هو وحده قادر على كسرها بالمعجزات كما فعل في مناسبات كثيرة ..

في النهاية كل شيء من حولنا في هذا الكون ينطق بوجود خالق له و عظمة خلقه هذا و إتقان تكوينه لكل شيء ، فإن كنت عزيزي القارئ تشكك بوجود الله فلا بأس عليك ، الله بنفسه أتاح لك هذا و شرّعه .. **فالشك هو الرحم الذي يولد منه اليقين** .. و تذكر أن نبي الله موسى و هو يخاطب الله حرفياً على قمة الجبل و قد بلغ من العمر الكثير ، طلب من الله آيةً كي يؤمن بوجوده، فسأله الخالق : (**ألم تؤمن بعد يا موسى ؟**) ، فرد عليه موسى : (**بلى ، لكن ليطمئن قلبي**) ..

فكيف بإنسان لم يطرق الله أبوابه بعد و لم يرَ من عظمة الخالق و رحمته ما يشبع يقينه و يطفئ حيرته ، لا بأس يا صديقي فذات يوم سيطرق الله بابك كغيرك و في التوقيت المناسب ، لتصعد بنفسك إلى قمة جبل الإيمان فيخاطبك الله و يقول لك : (**آمنت يا بنيّ ؟**) فيكون جوابك :

(بلى و اطمأنّ قلبي ..)

نجوم على الأرض

(السديم و التراب)

= ما أخبارك يا صديقي ؟

= نشكر الله على كل حال ، للأسف تعطل حاسوبي منذ يومين ، و لدي كثير من العمل لإنجازه عليه .. و لا أملك سيولة مالية حالياً تمكنني من شراء حاسوب جديد

= تشتري حاسوباً جديداً ! لماذا ، قم بتصليح حاسوبك ؟

= لقد عرضته على خبير بهذه الأمور و فحصه ثم أخبرني بأنّ هنالك قطعة صغيرة لا يتجاوز حجمها **2** سم و بخسة الثمن متضررة فيه ، و لن يعمل الحاسوب بدونها..

= مشكلتك محلولة إذاً ، اشترِ هذه القطعة ، لماذا كل هذا الحزن و الغمّ و التفكير بشراء حاسوب جديد !!

= يا صديقي هذه القطعة الصغيرة غير متوفرة في البلاد بسبب العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ..

= و الحلّ ؟!

= لا حلّ ، سأستدين **5** ملايين ليرة من قريبي لأشتري حاسوباً جديداً ، لأنّ قطعة صغيرة بسعر **5** آلاف ليرة غير متوفرة .. يا لسخرية القدر !!

= تخيل ، حاسوبٌ كاملٌ باهظ الثمن و معقد التركيب أصبح لا يعمل و بلا قيمة بسبب تضرّر قطعة بحجم **2** سم !! من حقك أن تحزن بلا شك ، فالموضوع مزعج بشدة ..

*****

ربما أدهشتك هذه القصة عزيزي القارئ و ربما عانيت منها بنفسك و ربما اعتبرتها مبالغة لا أكثر ، لكنها حقيقة واقعية تحدث كثيراً في الحياة اليومية و بصور مختلفة ، عندما يتوقف مصير أمور كبيرة للغاية على مصير أمور صغيرة لا يعيرها الإنسان اهتماماً في الحالة الطبيعية ، و ما يهمنا في القصة السابقة هو تشابهها الغريب مع البشر على كوكب الأرض ، و بالتحديد (قيمة الإنسان – أي إنسان - المذهلة) في البشرية ، بحيث أنه لو حُذف وجوده بالأساس من الحياة سيختلّ ميزان الحياة كلها و تتشوّه صورتها و ينحرف مسارها .. ربما تشكك كثيراً في هذا الكلام الغريب و هذا مبرّر، و مهمتي في هذه المغالطة الجديدة (**نجوم على الأرض**) أن أثبت لك هذه الحقيقة ، بأنّ كل إنسان عاش و يعيش و سيعيش على هذه الأرض ذو قيمة هامة للغاية لا تعوّض ، و بأنّ وصف بعض البشر

لأنفسهم أو وصف الآخرين لهم بأنهم :

(تكملة عدد لا أكثر في الحياة)

هو من أكبر مغالطات الحياة و غير صحيح على الإطلاق .. لذا اعتدّ بنفسك عزيزي القارئ و ارفع رأسك عالياً نحو السماء كي ننطلق سوياً في رحلتنا الشيقة القادمة لإثبات (القيمة الحقيقية العظيمة لكلّ إنسان) في هذه الحياة ..

نبدأ رحلتنا عزيزي القارئ بسؤال تمهيدي : **هل تعلم بالضبط كيف تتكون النجوم في الفضاء الكوني ؟!**

الحقيقة أن هذه العملية بسيطة للغاية يمكن اختصارها بجملة مقتضبة :

(سديم يعطي نجم يعطي سديم)

و هكذا في حلقة متكررة تتوالد فيها النجوم من بقايا بعضها فتحمل جينات أجدادها باستمرار و دون توقف !!

لكن لحظة .. ما هو هذا السديم بالأساس ؟!

السديم هو عبارة عن سحابة عملاقة من الغاز تطفو في الفضاء ، مع مرور الوقت تميل أجزاء من هذه السحابة للتكاثف و التقارب من بعضها بفعل قوى الجاذبية ، و مع تطور هذه العملية تنقسم السحابة إلى عدد من الكرات الغازيّة العملاقة الكثيفة فتجذب إليها مزيداً من

الغاز و بذلك تولد (**النجوم**) لكنها هنا لا تزال في مرحلة الطفولة .. أما ما تبقى من السحابة حول النجوم فتتكاثف لتشكل كواكب و أقمار و غيرها..

عندما يزداد حجم الكرة الغازية كثيراً يصبح وزنها ثقيلاً للغاية مع كمية هائلة من المادة تنجذب نحو مركزها حتى تنهار النجوم في النهاية على نفسها عبر عملية هامة في حياة النجوم و هي (**الاندماج النووي**) أي اتحاد ذرات الهيدروجين لتشكيل الهليوم ، محررةً كميات هائلة من الطاقة على شكل :

- موجات كهرومغناطيسية ..
- ضوء صادر عن النجوم ..
- حرارة منبعثة من النجوم ..

يستمر النجم في حياته هذه كنجم بالغ لملايين السنين على هيئة مفاعل نووي عملاق ، و في المراحل

الأخيرة من حياته يستنفذ كل ما في داخله من ذرات الهيدروجين أي يفقد الوقود الضروري لإنتاج الطاقة فتتوقف التفاعلات النووية في داخله ليدخل سنّ الشيخوخة حتى تنتهي حياته بالانفجار معطياً سديماً جديداً و يتحول ما بقي منه إلى **قزم أبيض** أو **نجم نيوتروني** أو **ثقب أسود** حسب طبيعة النجم الأساسية، فالنجوم نوعان من حيث الحجم :

❁ **نجم عادي** يتطور إلى **نجم أحمر عملاق** ثم ينكمش إلى (قزم أبيض) + (سديم يولد منه نجوم جديدة) ..

❁ **نجم كبير** يتطور إلى **نجم أحمر فوق عملاق** ثم ينفجر كمستعر أعظم (سوبرنوفا) إلى (نجم نيوتروني أو ثقب أسود) + (سديم يولد منه نجوم جديدة) ..

و هذه باختصار حياة النجم من السديم المهد إلى السديم اللحد الذي تنشأ منه نجوم جديدة مرة أخرى و هكذا..

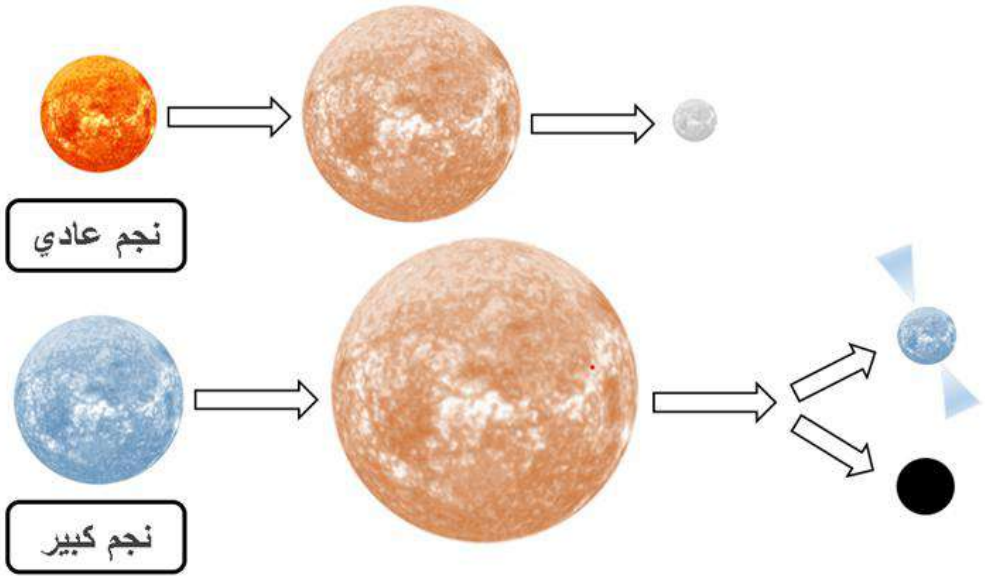

أدرك جيداً عزيزي القارئ أنك تسأل نفسك الآن ، و ما علاقة حياة النجم هذه بموضوع مغالطتنا ؟! و الحقيقة أنّني أريد أن ألفت انتباهك إلى هذا التشابه الغريب بين حياة الإنسان و حياة النجم ، فالنجم (**من السديم إلى السديم**) و الإنسان (**من التراب و إلى التراب**) أي أنه خلق من تراب و سيعود جثمانه ليدفن في التراب و يتحلل إلى تراب .. أليس هذا غريباً و مذهلاً !!

و من هذا التراب الجديد تتغذى النباتات على وجه الأرض لتتغذى عليها الحيوانات ثم يتغذى الإنسان على الاثنين ، بمعنى **أن الجزيئات التي شكلت أجساد أجدادنا ستعود لتشكل جزيئات أجسادنا** في حلقة مفرغة لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة البشرية ، تماماً كحلقة حياة النجوم ، و كما وصف الشاعر العبقري **أبو العلاء المعرّي** ذلك بقوله :

خفّف الوَطْءَ ما أظنّ أَدِيْمَ الـ

أرض إلا من هذه الأجساد

و قبيحٌ بنا و إنْ قَدُم العهدُ

هوانُ الآباء و الأجداد

سِرْ إن اسطعت في الهواءِ رُوَيداً

لا اختيالاً على رُفات العباد

رُب لحدٍ قد صار لحداً مراراً

ضاحكٍ من تزاحم الأضداد

فما التراب تحت اقدامنا الذي تتغذى عليه النباتات و الحيوانات و بالتالي الإنسان إلا من رفات من مضى من أجدادنا ، و المعلومة المذهلة أكثر هنا أنّ الجزء المتبقي من هذا التراب و الموجود قبل خلق الأحياء ما هو إلا غبار السدم نفسها أي أننا لا نحمل جزيئات أجدادنا في أجسادنا فحسب بل نشترك في أصل المنشأ مع نجوم كثيرة قريبة و بعيدة عاشت في هذا الفضاء ذات يوم .. مما يعود بنا إلى النقطة الأولى بأنّ العلاقة بين البشر و النجوم عميقة للغاية بل نحن و النجوم من سلالة واحدة ، لماذا أؤكد على هذه الفكرة ؟ لأننا ببساطة إذا أردنا أن نصف إنساناً هاماً أو ناجحاً في

الحياة فإننا نصفه بأنه نجم ..

و الحقيقة أن جميع البشر نجوم حرفياً سواء من حيث البنية الجزيئية أو الأهمية في الحياة و لا أحد أهمّ من الآخر ، فنحن نتشابه في حياتنا مع مسار حياة النجوم **(من سديم إلى سديم ، و من تراب إلى تراب)** بل نحمل في أجسادنا جزيئات من سدم هذه النجوم أيضاً ..
و هذا يعود بنا إلى فكرة مغالطتنا الأساسية : **كل إنسان في هذه الحياة ذو أهمية بالغة لا تعوّض كنجم حقيقي لكن على الأرض و قرينه في السماء..**

لكن ... لماذا كل إنسان هام بالفعل في الحياة ؟

الجواب على هذا السؤال في الحقيقة قائم على ثلاث أعمدة :

❁ **طبيعة الإنسان نفسها** : فأنت عزيزي القارئ و إن أجحفت في حق نفسك و تقديرك لذاتك و أهميتك في الحياة ، فأنت ستبقى إنساناً ، آلة عظيمة ابتدعها الخالق قادرة على اجتراح المعجزات ، على الاكتشاف و الاختراع و الإبداع ، على حل المشاكل و تغيير مصير

من حولك و التأثير في حياتهم ، إضافةً إلى عشرات الأمور الأخرى ، أي أنك ببساطة ستؤثر (كإنسان) في الحياة من حولك بشكل كبير شئت أم أبيت ، فهذا ليس بقرارك الذاتي بل بجيناتك و تكوينك البشري ، بمعنى آخر أنّ قيمتك الكبرى منحتها لك السماء عندما وهبتك **الحياة** كإنسان و منحتك **العقل** كأداة مذهلة للتفكير و التخطيط و أعطتك **الجسد** كأداة عظيمة للتنفيذ !!

❁ **الثالوث الحتمي** : كل إنسان يتنفس على هذه الحياة **سيفكر أو يقول أو يفعل** وهذه كلها ستؤثر بمن حوله ، فلن تجد أي إنسان في الحياة متجمداً كصنم لا يفعل إحدى تلك الأمور ، إلا إن كان جثة بالطبع !! فحتى النائم يتحرك و يشخر و يزعج من ينام بجواره، أليس كذلك عزيزي القارئ ؟!

❁ **كتابك في السماء عظيم بالأساس** : فلكل إنسان يأتي إلى هذه الحياة كتاب معدّ سلفاً و يناسبه على نحوٍ فريد و خاصّ به دون غيره و كأنه فصّل بالمقاس عليه ، وللإنسان في هذا الكتاب قصة فريدة من نوعها في الحياة سيقوم بتأدية أدوارها بحذافيرها خلال محطات حياته ، و الموضوع ليس قراره الذاتي ، فإن هو رأى نفسه بلا قيمة ، فالحياة لا تراه هكذا و ستدفعه بالقوة إلى الفعل و العمل و الإنجاز و تغيير حياته و حياة من حوله سلباً أو إيجاباً بحسب مراحل قصته في الحياة ، فالإنسان بلا شك سيدخل نفقه الخاص ذات يوم بتوجيه

إلهي و يتوه في الظلام لفترة من حياته كي يتعلم قداسة النور و قيمته .. لكن المهم هنا أن الإنسان بجميع الأحوال سيؤثر في الحياة بشكل هام و لن يكون تكملة عدد كما يظنّ ..

ببساطة عزيزي القارئ أنت إنسان عظيم شئت أم أبيت و القرار ليس قرارك أبداً بل السماء تريد لك أن تكون كذلك .. و يمكنني تشبيه أهمية الإنسان – أي إنسان - في الحياة بمجموعة أمثلة بليغة تصف هذه الفكرة بدقة:

❁ **الهرم** : فكل إنسان هو قطعة حجرية من مجموعة القطع التي تشكل الهرم ..

و في حال تكسّرت أي قطعة منها ستتشكل نقطة ضعف في هيكله قد تسبب لاحقاً انهيار جزء كبير منه و ربما الهرم بأكمله .. و هذه هي أهمية كل إنسان في هذه الحياة و التي يجهلها غالباً عن نفسه .. الحقيقة المغيبة

(كل إنسان هو قطعة لا تعوض من هرم الحياة)

فلا تستهن بنفسك عزيزي القارئ أبداً ..

❁ **اللوحة الفسيفسائية** : فالحياة لوحة فسيفسائية مذهلة مؤلفة من ملايين القطع الزجاجية مختلفة الألوان التي تتحد سوياً لتشكل صورة ما ، و فقدان أي قطعة منها سيشوه اللوحة برمتها ..

❁ **الآلة** : فأية آلة نستخدمها هي عبارة عن مجموعة قطع تتحد سوياً لتنجز الهدف المحدد للآلة ، و كل قطعة فيها لا بديل عنها و لو كانت مجرد (برغي) صغير فيها ، فضياعه قد يؤدي إلى توقف الآلة عن العمل مهما كانت ضخمة و معقدة .. و هذا ما حدث بالضبط مع حاسوب صديقنا في مطلع المغالطة ..

❁ **لعبة الأحجية** : ذات القطع المتشابكة التي تشكل في النهاية بعد تركيبها صورة ما ، و الحياة ككل عبارة عن

لوحة واحدة تتكون من ملايين القطع التي تتشابك مع بعضها كلغز أو أحجية تُحل تدريجياً لينكشف غموضها في النهاية فتُقرأ لوحة الحياة بوضوح .. و كل منا قطعة من هذه الأحجية ، و في حال فقدت أي قطعة منها تأثرت لوحة الحياة بالكامل ..

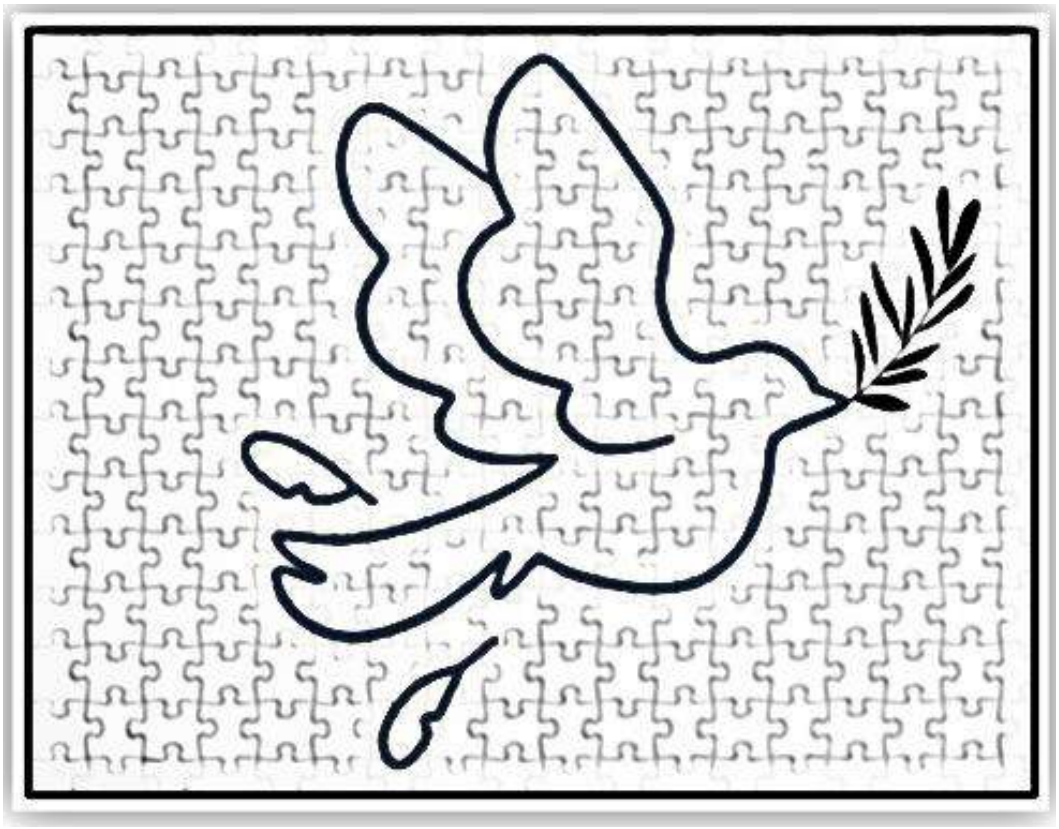

❁ **السماء ذات النجوم** : المنظر الأجمل على الإطلاق و الذي سحر الإنسان عبر الزمن و ألهمه الإبداع الكثير مع الأنوار التي تملأ ظلام الكون .. فكل نجم مضيء في هذا الكون يجسد إنساناً عاش في هذه الحياة ُصقل النور في داخله ثم ارتقى نحو الأعلى ، و تجتمع كل مجموعة نجوم معا لتشكل مجرة تمثل عائلة أو مدينة أو بلداً ما ، كما تتفاعل هذه النجوم مع بعضها كتفاعل العناصر الكيميائية لتجسد

حكايات و قصص الحياة بين البشر عبر التاريخ ، و من حقائق الحياة الكبرى أنّ أسرار الأرض معكوسة في السماء ، فكل ما جرى و يجري و سيجري على سطح كوكب الأرض مجسّد بطريقة ما في الفضاء من خلال علاقة النجوم ببعضها و المجرات ببعضها، فلا شيء على الأرض أو في السماء يحدث بشكل عبثي أو مصادفة ، و يبدو أنّ علاقتنا بالنجوم ليست مادية فحسب بل معنوية أيضاً فتجمعنا ذات القصص !!

❁ **المحيط**: فكل إنسان سيأتي إلى هذه الحياة هو

عبارة عن قطرة من هذا المحيط تنتقل مع أمواج الحياة الدنيا إلى شاطئ الحياة الآخرة في رحلة ممتعة ، و إن تمكن الإنسان خلال رحلته من إدراك قيمته و أهميته الحقيقية في الحياة سينطبق عليه قول المتصوف الكبير **جلال الدين الرومي** :

(أنت لست قطرة في محيط ، بل أنت المحيط كله في قطرة)

و يبلغ الإنسان هذه المرحلة عندما يصل إلى ذروة التصوّف فيتحد بالذات الإلهية .. ليكون حاملاً بحق لجزء من روح الله التي نفخها في جسده عند خلقه ..

❁ **نبات الذرة و السنبلة**: فكل إنسان في هذه الحياة هو حبة من هذه النباتات تجتمع سوياً لتشكل معاً

عرنوساً أو سنبلة ..

و كل حبة منها هامة لدرجة أنها إن دفنت تحت التراب فستنبت منها محاصيل مع الزمن، و هذا هو تأثير أفكارك و أقوالك و أفعالك على الحياة في زمنك و في الأزمنة التالية بعد رحيلك تتوسع و تؤثر عابرةً لحدود المكان و الزمان و الأشخاص..

و هكذا فلكلّ إنسان في هذه الحياة قصته الفريدة التي لا تشبه أحداً و أهمية بالغة أرادتها له السماء ، و مهما قلل من نفسه و أهميته فالسماء لن تفعل ذلك و سترافقه بيده بحنوّ من اللحظة التي تبصر فيها عيناه النور في الحياة حتى اللحظة التي تغمض فيها عيناه إلى الأبد عن هذه الحياة .. و ما بين تفتيح عينيه و إغماضهما قصة حياة

مميزة مفصّلة على مقاسه إن أدرك فيها قيمته فزهد بالدنيا و تصوّف حتى يتحد بالذات الإلهية سيغدو محيطاً في قطرة لا قطرة في محيط الحياة كنجم لامع على الأرض ، و القرار قراره ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**نجوم على الأرض**) من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لماذا خلقني الله على هذه الأرض ؟ لا قيمة لي ، أنا مجرد تكملة عدد لا أكثر ..

بل أن نقول :

= أنا إنسان مميز لا أشبه أحداً و في كتابي السماوي قصة حياة فريدة مفصّلة بالمقاس عليّ كمغامرة مثيرة سأعيشها على الأرض ، سأفكر و أقول و أفعل فيها الكثير لأترك بصمتي في الحياة و أؤثر فيمن حولي بل في أناس آخرين لم أعرفهم في بقاع جغرافية بعيدة ربما بل في أزمنة مختلفة .. و عليّ أن أدرك قيمة نفسي و أهميتي جيداً كما تراني السماء بالضبط ..

عندما تنظر عزيزي القارئ في المرآة فتجد نفسك قبيحاً و بلا قيمة ، فالعيب هو في المرآة لا في شخصك كإنسان ، لأنّ **هذه المرآة ببساطة هي عيون البشر الآخرين و أنت تستمد قيمتك من أفواههم لا من**

حقيقتك ، لذا ببساطة بدّل هذه المرآة إلى **مرآة السماء** **و ستذهل من الإنسان الجميل الذي يحدق بك فيها و لن تصدق مدى الأهمية البالغة التي يشكلها شخصك في الحياة !!** و القرار قرارك أي المرآتين ستختار ؟

في دولة **تايلند** يقام سنوياً مهرجان مميز يدعى (**مهرجان الأنوار**) حيث يقوم كل مواطن بإطلاق بالون مضاء بمصباح إلى السماء ، في ظاهرة لا مثيل لها تلخّص فلسفة الحياة كلها بأنّ كل إنسان فيها هو فيض نوراني من النور الإلهي أتى منه و سيعود إليه كما يقول بيت الشعر الأيقوني التالي :

نزعت عنك رداءً كنت تلبسه

من التراب و عاد النور للنور

فكيف تشعر عزيزي النجم بالضعف أو عدم الأهمية و القيمة و فيك من روح الله ما يجترح المعجزات ؟!

GPS الحياة

(متطابقة أوبلر)

= هل نحن بالاتجاه الصحيح حبيبي ؟!

= أجل يا زوجتي العزيزة ، بحسب إرشادات نظام **GPS** علينا المضي قدماً لمسافة **3** كم ثم الانعطاف يميناً و بعدها يساراً حيث نصل إلى وجهتنا النهائية ..

= يا له من نظام مذهل حلّ كثيراً من المشاكل و جنّب البشر متاهةً من الضياع ..

= بالفعل إنه كذلك ..

= و ما آلية عمله بالضبط ؟

= اتصال مباشر بين الأقمار الصناعية في السماء و جهاز الاستقبال في سيارتنا فتملي عليه الإحداثيات ..

= أي أن السماء ترشدنا حرفياً إلى الطريق الصحيح !!
= تماماً ..

= يا ليت هنالك نظام **GPS** روحي مشابه تدل به السماء الإنسان إلى الاتجاه الصحيح نحو دار البقاء كي لا يتوه في غياهب ظلمات الدنيا ..

= هنالك الدين يا عزيزتي ..

= أعلم .. لكنني لا أزال أشعر بشيءٍ ما ناقص .. شيء لا يجلو الظلمات من حياتي بشكل نهائي ..

= بالفعل أشاطرك نفس الإحساس ..

*****

هل هنالك بالفعل نظام GPS بين السماء و الجسد الأرضي ترشد من خلاله السماء الجسد بوضوح إلى الطريق الصحيح في الكون الأصغر حتى يبلغ الكون الأكبر بأقل الخسائر الممكنة ؟! أم أنّ على الإنسان أن يجرب عدّة طرق و يتوه فيها حتى يعثر على الطريق الصحيح في النهاية ؟!

هذا ما سنحاول الإجابة عليه على نحوٍ كافٍ و وافٍ كما آمل خلال الصفحات التالية بمقاربة مغالطتنا الجديدة :

(**GPS الحياة**) بطريقة مباشرة نقوم خلالها بتحديد أهم الإرشادات الروحية للبشر كيلا يتوهوا في ظلمات الحياة فيوفروا على أنفسهم كثيراً من الألم و العذاب و الضياع ، و هذه الإرشادات تشمل **11** بنداً إن وعى الإنسان لها بعمق و جسّدها كقناعات و أفعال في حياته فإن رحلته في هذه الحياة الدنيا ستكون بلا شك عبارة عن مغامرة مثيرة و ممتعة و بأقل الصعوبات الممكنة ، فهيا بنا عزيزي القارئ نتبع هذه الإرشادات الروحية بالترتيب :

۞ فلسفة الإشباع و بداية الضياع :

تقوم هذه الفلسفة على مبدأ بسيط لكن هام للغاية و هو أنه بعد التعود على نعم الله لفترة من الزمن تفقد النعم قيمتها في نظر مالكها تدريجياً ليتلو ذلك طور الانحدار عندما يصل الإنسان إلى مرحلة لا يقدر فيها ما بين يديه فيفقده ، و في القرآن الكريم آية واضحة و صريحة عن هذه الفلسفة تقول :

(و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)

و كما ترى عزيز القارئ كم هي آية مذهلة و معبرة بالفعل ، فالله يعلم ما لا يعلمه البشر و يعرف مصلحتهم

أكثر منهم ،إذ يدرك كما يقول بنفسه أن الرزق الشامل للجميع سيؤدي إلى فساد الأخلاق بسبب الوصول إلى الإشباع الخطير الذي ذكرناه آنفاً و بالتالي بداية طور الضياع و فقدان النعم ، و قد يسأل سائل هنا ، لكن لماذا يرزق الله قسماً من البشر الكثير، في حين يقتر رزقه على قسم آخر ؟ !و هو سؤال هام ، مشروع و منطقي بلا شك .. تجيب عليه آية قرآنية مذهلة أخرى متممة للآية السابقة يعتدل معها ميزان العدل الإلهي و تتحقق معها المساواة بين الجميع .. و تقول :

(و تلك الأيام نداولها بين الناس)

أي أنّ دوام الحال من المحال فمن هو في النور أو اليسر قد يمسي في الظلام أو العسر و من هو في الظلام أو العسر قد يصبح في النور أو اليسر و هكذا.. كتوالي النهار و الليل في حياتنا و لا يبقى على حاله سوى الله تعالى ، فالحياة دورات من شدّ و إرخاء ..

عسر و يسر ، و بين هذه الثنائيات يلقننا الله أبلغ المواعظ و أعظم الدروس .. و يمكننا اختزال كل ما سبق بالجملة التالية المبسطة التي تلخص فلسفة الإشباع و بداية الضياع :

(وفرة النعم تسبب البطر ثم فساد الأخلاق ثم

فقدان النعم)

لذا فالإرشاد الأول في نظام **GPS** السماء هو :

(قدّر نعم الله بين يديك جيداً و لا تبطر بها كيلا تصل لمرحلة الإشباع منها فتضيع أنت و نعمك معاً و تنحدر نحو الهاوية)

❁ فلسفة لقاح الظلام :

حياة كل إنسان في هذه الدنيا تمر بثلاث مراحل بدخوله نفقه المظلم الخاص (أبيض ، أسود ، أبيض) و

الغاية من هذا النفق و ظلامه هو دفع الله الإنسان إلى تجربة طريق الخطيئة عمداً كي يعي تماماً أنه طريق غوغائي بلا نتيجة مفيدة له أو لغيره فيقدّس النور و يقدّره حق قدره .. و هذا ما يطيب لي تسميته (**لقاح الظلام**) ، أي أنّ الله يريدنا في هذه الحياة أن نجرب و نخطئ بشكل مقصود و ضروري كي نتعلم من أخطائنا في الحياة الدنيا و بذلك نتجنب الوقوع في أخطاء أكبر منها في الحياة الآخرة تفسد متعتها و بهجتها فتحيلها إلى جحيم مناقض لطبيعتها ، كمبدأ اللقاح تماماً الذي يعطى فيه الإنسان كمية صغيرة من العامل الممرض تمنحه مناعة دائمة ضد الكميات الكبيرة منه لاحقاً ، أي ترك الإنسان يعيش لفترة قصيرة في ظلام الخطايا كي يعلم يقيناً أنها بلا فائدة ترجى على المدى البعيد و بأن عواقبها كارثية تورث الإنسان الشقاء و البؤس ، ليتعلم الدرس جيداً و عصارة العبرة منها فيحصل على مناعة دائمة تقيه من الانجرار إلى أخطاء أكبر منها في الدنيا أو الآخرة تدمر حياته و سعادته إلى الأبد أو تجهز عليها من الأساس و ترسل به إلى العدم ..

و بذلك يكون الإرشاد الثاني في نظام **GPS** السماء هو :

(لا تخشى من ظلام نفقك الخاص إن أجبرت في فترة من حياتك على دخوله ، فهو كلقاح

سيمنحك مناعة دائمة من الظلام إلى الأبد)

❁ فلسفة الخُلُق سرّ الخَلْق :

إنّ الله يمكنه بغمضة عين و منتهى اليسر و السهولة أن يمنحك في الآخرة أجمل وجه ، أضخم عضلات ، أحلى صوت ، دماغاً فيه كل علوم الحياة ، نعم لا تنضب ، لكن الشيء الوحيد الذي لا يأتي آنياً هو الأخلاق .. فهي لا تمنح من الخارج بل تتكون من الداخل بجهاد من الإنسان لنفسه و كأنه ينحت أخلاقه في روحه بإزميله الخاص ، و هذه عملية تستغرق زمناً طويّلً عبر مراحل متدرجة صعوداً من التجارب

المريرة كمعاناة الإنسان من عواقب سوء أخلاقه على نفسه أو من عواقب سوء أخلاق الآخرين عليه حتى يكون قناعة تامة و يقين لا تشوبه شائبة بأنّ الأخلاق هي الخيار السليم الوحيد لازدهار الحياة و تحصيل السعادة ، فتحفر فلسفتها في أعماقه إلى الابد ، و لهذا السبب وجدت الحياة الدنيا كي يصل بنا الله إلى هذه الخلاصة النهائية ، أما بقية الأمور فكما قلنا يمكن لله أن يمنحنا إياها آنياً في العالم الآخر ، أي أنّ الدنيا وجدت من أجل الأخلاق و فقط ، و أما سبب هذا التركيز الحثيث على الأخلاق لدرجة خلق دنيا بكاملها من أجلها فبسيط للغاية ، و هو أنّ انعدام الأخلاق يعني ضياع المخلوقات و تحول الدنيا إلى غابة متوحشة يفترس فيها القوي و الضعيف ، و يبغض فيها البشر بعضهم و يعتدون على بعضهم ... و نهاية كل ذلك هو الفناء بّل أي شك .. و هذا هو مصير الحياة الآخرة لو أنّ الله خلق البشر فيها مباشرةً ، إذ إنه رغم جنانها الرحبة التي فيها كل شيء حرفياً ، فإن البشر بلا أخلاق سيفنون بعضهم فيها و يحيلونها إلى جحيم حقيقي ، و بالطبع حكمة الخالق ارتأت خلق مرحلة انتقالية هي الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة الأبدية لتجنب هذه الكارثة و تنمية الأخلاق في نفوس البشر في الدنيا قبل انتقالهم إلى دار البقاء ..

و بذلك يكون الإرشاد الثالث في نظام **GPS** السماء هو:

(الشيء الوحيد الذي لا يمنحك إياه الخالق من خارجك بل تمنحه لنفسك من داخلك هو الأخلاق و هي الغاية من الخلق بالأساس و لن يطالبك الله في الآخرة بغيرها، لذا انحت روحك بإزميلك فهذّب نفسك و تحلى بمكارم الأخلاق كي تليق بك جنان الله فيما بعد)

❁ فلسفة القدر :

كل تفاصيل حياة أي إنسان محفورة في كتاب محفوظ

من قبل أن يخلق على الأرض أي مذ كان مجرد فكرة في السماء ، و هذا موضّح بشكل صريح لا غبار عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى :

(ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم)

أي أنّ كل ما يصيب البشر من أفراح أو أتراح مكتوب في كتابهم من قبل خلقهم ، و ما الحياة سوى تأدية أدوارنا المكتوبة بحذافيرها ، لكننا في نفس الوقت نتعلم من هذه الأدوار أعظم الدروس و أبلغ العظات .. و هذا هو الإبداع الحقيقي في الخلق .. و الإنسان رغم ذلك مخّير و مسيّر في نفس الوقت و هذا ما يضمن سيطرة الله المحكمة على الحياة من جهة و فرض عدله بعبقرية من جهة ثانية .. فهل هنالك شيء يمنعك عزيزي القارئ من النزول إلى الشارع و رمي نفسك أمام إحدى السيارات العابرة في هذه اللحظة ؟ إن فكرت قليلاً ستجد أن لا قوة تمنعك سوى رغبتك بألا تؤذي نفسك أي أنك مخير ، و هذه رحمة إلهية ، لكنّ السماء تعرف أنك لن تؤذي نفسك و بذلك فأنت مسيّر ، و إن كانت لديك رغبة شاذة في رمي نفسك تحت عجلات السيارة

من باب حماقة أو يأس فستقوم بذلك دون أن يمنعك أحد من القيام بذلك فأنت مخيّر من جديد .. و بالطبع في حال تعرضت لدهس دون إرادتك من قبل سيارة مسرعة سائقها مخمور أو مراهق طائش فهذا قدر لله غاية منه ، فإما أن حياتك انتهت و مهمتك على الأرض أنجزت ، أو أن تتعرض لعجز يبتليك به الله كي يرّوض روحك أكثر بالمعاناة كي تليق بك جنانه الرحبة ، أو أنك ستشفى تماماً و تبقى تلك التجربة درساً و عبرة لك كنوع من اختبار صبرك ، أو عقاب لك على فعل شائن سابق ارتكبته .. و هكذا أيّاً كان الاحتمال الذي سيصيبك فأنت مخيّر بتنفيذه بإرادتك الكاملة ، و بنفس الوقت هو ليس عبثياً البتة بل لغايات إلهية نبيلة تصبّ في مصلحتك لذا كتبه الله لك لأنه يناسبك بالمقاس الدقيق ..

و بذلك يكون الإرشاد الرابع في نظام **GPS** السماء هو :

(كل تفصيل من حياتك مكتوب مسبقًا في كتابك عند البارئ ، بمعنى أن لا شيء يحدث صدفة في حياتك ، لذا تقبل حياتك برضا كما هي بيسرها و عسرها ، لأن الخالق فصلها بالمقاس عليك لتناسبك أنت دونًا عن بقية البشر ، فيسرها سيسعدك و

عسرها فيه دروس بليغة لك لا تقدر بثمن)

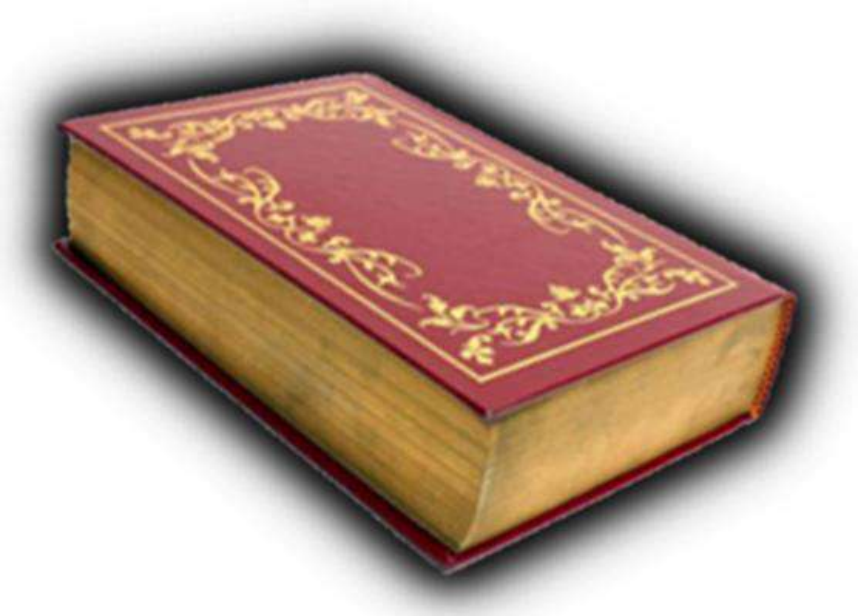

❁ فلسفة حقل الألغام :

في الحقيقة الحياة من حولنا أشبه بحقل ألغام من :

- أمراض و أوبئة ..
- الموت ..
- الكوارث الطبيعية كالزلازل ، البراكين و الأعاصير
- الحروب بمختلف دوافعها ، سياسية ، دينية ، توسعية ، نهب ثروات ..
- الأزمات البيئية كالتصحّر ، ثقب الأوزون و التلوث
- الأزمات الاقتصادية ..
- أذى البشر لبعضهم كالسرقة ، الاحتيال ، الاعتداء بأنواعه ، تشويه السمعة ، المكائد ..

● الخسارة بأنواعها ، خسارة وظيفتنا أو دمار منزلنا أو فقد من نحب ..

و القائمة تطول ، و مما لا شكّ فيه عند تفنيد هذه العوامل كلها أنها بغزارتها و تنوع مصادرها أمر باعث على القلق ، الخوف و الاكتئاب بالفعل حتى الوصول إلى مرحلة اليأس و العجز ثم التوقف عن مصارعة الحياة و المضي قدماً فيها جرّاء الحجم المهول للأهوال من حولنا ، حيث يمكن لأي لغم منها أن ينفجر بنا في أية لحظة .. لكن هنالك عامل مقابل كرد فعل معاكس بالاتجاه و الأهم أنه أشد قوة و مقداراً من هذه العوامل المجتمعة بملايين الأضعاف يحكم سيطرته عليها و كل شيء يجري بإرادته و رضاه وفق معايير مدروسة بدقة و عناية ألا و هو الله ، فإن كان لدينا يقين تام بأن هذا الخالق يتحلى بالصفات التالية : **مطلق القدرة ، خالق حقل الألغام هذا بنفسه و يعرف خفاياه بدقة ، رحيم ، حكيم و نبيل** ، سندرك عندها الحقائق التالية التي تثلج الصدر و تريح النفس :

❁ من خلق حقل الألغام هذا بمقدوره ببساطة أن يحكم السيطرة عليه ..

❁ ما من لغم ينفجر في هذه الدنيا إلا بإرادة الخالق و لغاية نبيلة حكيمة تصبّ في مصلحة الإنسان و تحقق الغاية من خلق الله له في هذا الحقل ، فمنذ أرسلك الله

إلى هذا الحقل قد حدد لك مسبقاً نوعية الألغام التي ستنفجر بك ، متى سيحدث ذلك ، عواقبه و الأهم الحكمة و الغاية من انفجاره..

۞ لا يمكن لحياتنا أن تكون مجرد انفجارات متتالية عبثية لألغام العالم المختلفة كي تدفعنا للعيش بحالة من الخوف ، القلق ، الاكتئاب و اليأس ، لأن الخالق ببساطة نبيل و رحيم و بالتالي فهو لم يخلقنا كي يعذبنا بل كي يلقننا الدروس البليغة و يرّوض الوحش القابع في أعماقنا كي يخرج منا صورة نبيلة ، رحيمة و حكيمة على هيئته كي تليق بنا الحياة في جنانه الرحبة في الآخرة و ما هذه الالغام سوى الإزميل الذي ينحت به الخالق تلك الصورة الجميلة فينا .. و بوضع هاتين الزاويتين بوجه بعضهما ندرك الحقيقة التي لا ٍ ريب فيها بأنه لا داعٍ أبداً للقلق أو الأرق أو الخوف في الحياة ، بل يتوجب علينا فقط تسليم أمورنا للخالق بطواعية و هدوء دون تمرد أو تذمر كي نتجنب أن نفجّر ألغاماً عبثية بأنفسنا عندما نمشي عليها طواعية و بإرادتنا .. فكما شقّ الله البحر لرسوله موسى و نجاه من المخاطر خلفه عندما أيقن أن هلاكه حان و لا مهرب أو منجاة له ، في حين أغرق أعداءه في أعماق ذلك البحر ، فإنه سيشقّ لكل إنسان مؤمن به طريقا معبداً بالورود ، السلام و الأمان ضمن حقل الألغام المخيف هذا و ذلك على الله ليس بعسير على الإطلاق

و بذلك يكون الإرشاد الخامس في نظام **GPS** السماء هو :

(صحيح أن كوكب الأرض أشبه بحقل ألغام ، لكن الأصحّ أن هذا الحقل مصمم بيد خالق نبيل حكيم و رحيم ، و أي لغم سينفجر بك في حياتك هو موقوت في الزمان و المكان المناسبين و لغاية خاصة و مفيدة لك بلا أدنى شك، لذا لا تفني حياتك و تهدر وقتك في خشية ألغام ربما لن تنفجر بك بالأساس طوال حياتك)

❁ فلسفة الولادة الحقيقية :

صحيح أننا عندما نولد جسداً نأتي إلى الدنيا بتفاصيل جاهزة تصبغ حياتنا بدءاً من الشكل و انتهاءً بالمضمون و التوجه .. لكن ما من شيء يردعنا عندما نكبر من أن نغربل تفاصيل حياتنا في غربال ذهبي يذهب بما لا يتماشى مع ميولنا و مبادئنا و يبقي على قناعاتنا في الحياة .. فحتى اسمك الشخصي أنت قادر على تغييره ، و شكلك أيضاً بعمليات التجميل و حتى جنسك في بعض الأمراض و التشوهات الخلقية .. فأنت أتيت إلى الحياة بدون إرادتك ، لكنك تستطيع أن تحياها وفق تصورك و رغباتك ، و لا قوة في العالم تمنعك من القيام بذلك إن أردت بالطبع .. و في الولادة الأولى الجسدية لك ، أمك هي من عانت من آلام المخاض المبرّحة ، لكن صدقني عزيزي القارئ بأن ولادتك الحقيقية عندما تكبر هي مخاض أعسر بكثير و ستعاني بنفسك من آلامه ، فليس من السهل على الإطلاق أن تنسلخ عن هويتك القديمة و بيئتك لتولد كإنسان جديد ، فذلك يتطلب إيماناً عميقاً لا يتزعزع بقناعاتك و إرادة فولاذية للمضي في هذه التجربة العسيرة و المخاض المنهك ، لكن صدقني بأنها تجربة عظيمة لا توصف تستحق كل هذا الألم و أكثر ، فعندها فقط ستدرك كم هي جميلة الحياة و ستعرف بالضبط

غاية الله من خلقك فيها .. و تذكر أنك عندما تولد جسداً في الحياة تغطي جسدك طبقة سميكة من الدماء ، المخاط ، السائل الامنيوسي و غيرها مما يجعل منظرك قبيحاً ، لكن ما أن يُغسل جسدك من كل ذلك و تصبح نظيفاً حتى تتحّول إلى مخلوق لطيف بأبهى صورة .. هذه الطبقات المتّسخة تكافئ ما فرضه عليك الاشخاص و البيئة في طفولتك فجعلوا حياتك قبيحة لا تناسبك ، لكن ما إن تنظف نفسك و حياتك منها بإرادتك في ولادتك الحقيقية حتى تصبح بصمة فارقة في الحياة كما أراد لك الله أن تكون ..

لذا اصنع قدرك بيديك لا بأيدي الآخرين كي تولد بحق هذه المّرة ..

و بذلك يكون الإرشاد السادس في نظام **GPS** السماء هو :

(صحيح أن كل شيء في حياتك فرض عليك عند ولادتك بما فيها حياتك نفسها ، لكن ما من قوة في العالم تمنعك إن شئت من تغيير حياتك هذه إلى النحو الذي ترغب به و يناسب مبادئك و توجهاتك عندما تنضج و تستقل)

❁ فلسفة الأنا و الهو :

العزلة و الانفراد بالذات أمر جميل بل ضروري أحياناً كي نفهم ذواتنا أكثر ، كذلك حال الشهرة و السلطة لهما نكهة خاصة بلا شك و ذلك بالإحساس بالتميز عن الآخرين .. لكن شريطة ألا يستمر هذا الحال إلى الأبد من جهة ، فعندها سيفقد كل ذلك مزاياه و يتحول إلى كابوس حقيقي يسلبنا كل جميل ، و من ناحية أخرى فإنّ وجودنا ضمن فريق من الأصدقاء لن يحرمنا من هذه المتع .. فالأصدقاء يمنحوننا مساحة كافية لأنفسنا متى أحببنا ، كما أنهم يطرون على إنجازاتنا و يتبعون توجيهاتنا السليمة و المفيدة برحابة صدر و وفاء ناهيك عن كونهم السند الذي نتكئ عليه عندما تعصف بنا الهموم و المصاعب كما ينبغي أن نكون عكازهم في النكبات .. و الأنانية أو النرجسية التي تمجد الذات و تلغي الآخر ليست مرادفاً للإبداع و النجاح و السعادة ..

بل إنّ السعادة التي يمنحها لنا الأحباء و ملاحظاتهم القيمة إيجاباً أم سلباً على أعمالنا هي من تخرج منا أفضل نسخة ممكنة لذواتنا فنبدع بالفعل ..

و بذلك يكون الإرشاد السابع في نظام **GPS** السماء هو :

(الأنا ضرورية بلا شك لأن من لا يحب نفسه لا يعرف كيف يحب الآخرين ، لكن علينا ألا نسمح للأنا بالتوسع كثيراً بحيث تطمس الهو على الخارطة ، فالآخرين هم مصدر السعادة الحقيقية في هذه الحياة ، و الجنة بلا ناس لا معنى لها من الأساس)

❁ فلسفة سواسية كأسنان المشط:

الناس سواسية كأسنان المشط و ما يعلي مقامهم في الحياة هو أخالقهم و صلاح أفكارهم و أقوالهم و أفعالهم

فقط لا غير .. و علينا التعامل مع الآخرين وفق هذه المعادلة .. أما تمييز البشر بين بعضهم على أساس لون بشرتهم أو جاههم أو سلطتهم أو ثرائهم أو نسبهم أو غيره فهو مرفوض سماوياً ، فجميع البشر أتوا إلى الحياة عراة و سيغادرونها عراة و ما يكسوهم بين الولادة و الموت هو أخلاقهم لا غير ..

و بذلك يكون الإرشاد الثامن في نظام **GPS** السماء هو :

(فكرة أن الناس مقامات أو أن أصابع يدك ليست كبعضها مرفوضة عند الله ، فجميع الناس سواسية كأسنان المشط و لا تفضيل لأحد على آخر إلا بأخلاقه)

❁ فلسفة الطاقة المهدورة :

جهد الإنسان طاقة لا تفنى بشكل مؤكد و سيصل إلى المتلقي المناسب عاجلاً أم آجلاً ليحقق النجاح المأمول، و جلّ ما علينا فعله أن نقوم بواجبنا ببذل الجهد و زرع بذرتنا في التراب المناسب و السماء ستتكفل بسقايتها و إنمائها لتعطي شجرة من النجاحات و التأثير سواء كنا فوق هذا التراب أم مدفونين في أحشائه ، و قيمة عملك لا تقدر بنجاحك الضخم فيه أو غايتك منه بل بغايات الله ذات الأبعاد المختلفة منه و الذي ألهمك في المقام الأول على التفكير به أو قوله أو فعله.. و كل فعل نقوم به في حياتنا سلبياً كان أم إيجابياً و إن كان مثقال ذرة سيتضاعف كأثر الفراشة أو تساقط أحجار الدومينو و يغير في حياة الآخرين في هذا العالم ، و ربّ كلمةٍ واحدة غيرت مجرى التاريخ .. و كلنا مزارعون في حقل الحياة ، فلنعمل على زرع بذور العمل الصالح المعجون بالخير و الحب في هذا الحقل وقدر الله بحكمته سيرويها و ينميها ، فإن لم نستفد منها بأنفسنا سيستفيد من ثمار أشجارها الوارفة آخرون يوماً ما ،كما نستفيد نحن من ثمار غيرنا الآن ، فلا يمكن تلخيص فلسفة العمل الصالح بدقة أكثر من وصفه بكلمة واحدة فقط : (بذرة) فهو لن يعرف الضياع أو الهدر أبداً

بل سينمو لاحقاً ليؤتي ثماره بلا ريب ..

و بذلك يكون الإرشاد التاسع في نظام **GPS** السماء هو :

(أي جهد تبذله في حياتك هو طاقة لا تفنى و لا تعرف معنى الهدر بكل تأكيد، بل ستتوسع كأثر الفراشة أو تأثير الدومينو عابرةً للمكان و الزمان و الأشخاص و تؤثر بالآخرين ذات يوم)

❁ فلسفة دائرة الأرزاق :

مفهوم دائرة الأرزاق بسيط للغاية لكنه هامّ على نحوٍ لا يوصف بنفس الوقت لأنه يكشف النقاب عن أحد أكبر أسرار الحياة التي تشرح العدل الإلهي و المساواة بين البشر و ينصّ على الحقيقة التالية :

((حياة كل إنسان عبارة عن دائرة مقسمة إلى أقسام من الأرزاق بحيث تبقى مساحة الدائرة ثابتة و متساوية بين جميع البشر ، فمثلاً إن زادت حصة المال عند إنسان في الدائرة فستقل بالمقابل حصة أخرى بلا أدنى شك كالصحة مثلاً و هكذا ..))

و من المستحيل أن يمتلك الإنسان كل شيء في هذه الحياة حتى لو سعى إلى ذلك ، فهذه الدائرة السحرية مبرمجة سلفاً كي تقلّ نسب فيها في حال ازدادت نسب أخرى ..

و أقاليم الحياة متنوعة و الله إن قتّر الرزق عليك في بعضها سيوسعه في غيرها بلا شك ، و من هذه الأقاليم الشائعة نذكر :

- **المال** ، و هو الإقليم الذي يشغل تفكير أغلب الناس، و يربطونه بجهالة بكل شيء ، فإن امتلكت المال فأنت لا تحتاج شيئاً آخر بعده كما يعتقدون ..

- **الصحة** ، و هو الإقليم الأهم و الأكثر قيمة ، و كثير من الناس يغفلون أهميته بجهالة حتى يخسرونه ..

- **العائلة** ، أن تمتلك أم و أب ، أخوة و أخوات ، زوجة ، أبناء .. و كثير من البشر يفتقدون هذه العناصر لأسباب مختلفة ..

- **النجاح** ، بكل أشكاله ، في الدراسة أو العمل .. إلخ

- **الأمان** ، أن تملك سقفاً تعيش تحته ، ألا تملك أعداء يتربصون بك ، ألا تعيش في حرب أو تشرد ، أن تعيش مرتاح البال .. إلخ ..

- **الأصدقاء** ، كنز حقيقي في الحياة و ما أقلهم عندما تشيح الحياة بوجهها عنك !!

- **الإيمان** ، فإن طرق الله بابك فهذا حدث عظيم لا تستهن به ، فغيرك لا يزال يعيش في دوامة الشك و الحيرة ..

إضافةً إلى آلاف الأقاليم الأخرى و هذه مجرد أقاليم

شائعة بين الناس ، لكن العدل يكمن في التفاصيل هنا ، و تغير النسب زيادةً أو نقصاناً من شخص لآخر يطال أقاليم كثيرة نجهلها و لا نعيرها اهتماماً أو قيمة لتبقى الدائرة بالمحصلة ثابتة المساحة بين جميع الناس في أي فترة من حياتهم ، و هذا هو الإبداع و الإعجاز في العدل الإلهي .. لذا اقنع عزيزي القارئ بقسمتك من الرزق و كن على يقين بأنك تملك أشياءً كثيرة حُرم منها من تظنه يملك كل شيء و ولد و في فمه ملعقة من ذهب ..

و بذلك يكون الإرشاد العاشر في نظام **GPS** السماء هو :

(عبارة ولد و في فمه ملعقة من ذهب لا وجود لها في قاموس الحياة الدنيا ، فكل إنسان يأتي إليها تحكمه دائرة أرزاق ثابتة إن توسعت فيها بعض النسب المئوية في أقاليم من الحياة ، تضاءلت نسب أخرى مباشرةً على حسابها ، ولو قدّر لنا أن نتعرف فعلياً على حياة أشخاص نظنها مثالية لدهشنا من كمّ الحرمان الذي يعانون منه .. لذا احمد لله على كل شيء و على كل حال.. و من

زاوية أخرى فالدنيا قلابة و لا تستقر على حال و لا أحد يعرف ما الذي ينتظره خلف أبواب المستقبل .. أهو فرج عظيم أم شدة غير متوقعة !!)

❁ فلسفة خريطة الكنز :

لا يمكننا فهم الحياة الدنيا بدقة و عدل إن لم نربطها بالحياة الآخرة كتتمة طبيعية و منطقية لها .. فإن اعتبرنا **حياة الإنسان في داري الفناء و البقاء جزءاً واحداً لا يتجزأ** ، فعندها سندرك جيداً أنه في نقطة معينة من هذه الحياة سيعثر كل إنسان بلا استثناء على كنوز عظيمة لا تقدر بثمن ، لا توصف بكلام و لا تحاط بعقل ، و ما هذه النقطة سوى لحظة موتنا التي تنام فيه أجسادنا الأرضية و تستيقظ أجسادنا السماوية لتمتلك كنوز الجنان إلى ما لا نهاية ، و هذه حقيقة ثابتة لا تقبك الشك أبداً و علينا التعامل معها كواقع لا كاحتمال بالإيمان و اليقين بوجود الله و حقيقة جنانه و عندها سيتغير كل شيء و تتغير نظرتنا إلى الحياة جذرياً .. أما خريطة الكنوز هذه فبيدنا جميعاً ألا و هي :

(الالتزام بالثالوث المقدس : الأخلاق و الإيمان و المعرفة)

و كلّ ما علينا هو تتبع هذه الخريطة في رحلة حياتنا

على هذه الأرض **لبضعة سنوات لا أكثر** كمغامرة فريدة و ممتعة و شيقة نمخر فيها عباب محيط الحياة الدنيا بسفينتنا الخاصة حتى نبلغ **جزيرة الكنز** (الحياة الآخرة) حيث ينتظرنا كنزنا العظيم المدفون فيها كما وعدتنا الخريطة بالضبط ..

و بذلك يكون الإرشاد **11** في نظام **GPS** السماء هو :

(هنالك كنوز عظيمة تنتظرنا في الجنان لحظة وفاتنا التي ربما تكون أقرب مما نعتقد ، فليس جميع البشر يعمرون بل بعضهم يموت طفلاً أو يافعاً أو كهلاً، و ما علينا سوى انتظار هذه اللحظة بصبر و ثقة و إيمان و تسليم)

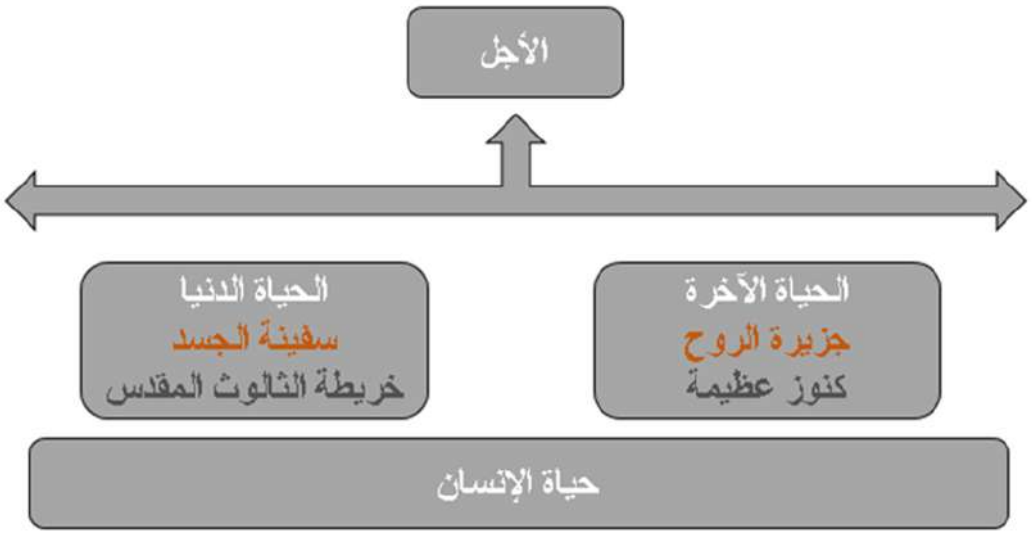

هذه هي الإرشادات الإحدى عشر في نظام **GPS** السماء ، فإن التزمنا بها بوعي و قناعة ، أعتقد أن حياتنا

ستتحول إلى مغامرة مثيرة بأقل الصعاب الممكنة فنختصر درباً حمراء طويلة من الألم إلى أقصر مسافة تجعل منا عيالاً للسماء فتمنحنا كل شيء بدون مقابل و إلى الأبد في الكون الأكبر أو دار البقاء .. لذا أعطِ هذه الإرشادات بعضاً من وقتك واهتمامك عزيزي القارئ:

- **فلسفة الإشباع و بداية الضياع ..**
- **فلسفة لقاح الظلام ..**
- **فلسفة الخُلُق سرّ الخَلْق ..**
- **فلسفة القدر ..**
- **فلسفة حقل الألغام ..**
- **فلسفة الولادة الحقيقية ..**
- **فلسفة الأنا و الهو ..**
- **فلسفة سواسية كأسنان المشط ..**
- **فلسفة الطاقة المهدورة ..**
- **فلسفة دائرة الأرزاق ..**
- **فلسفة خريطة الكنز ..**

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**GPS السماء**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول:

= الحياة تجربة مرعبة في الظلام نتوه خلالها في دروب كثيرة خاطئة ندفع فيها الأثمان الباهظة ..

بل أن نقول :

= ربما كانت الحياة كذلك ، لكن هنالك نظام **GPS** خاص بين السماء و أجسادنا الأرضية مكون من **11** إرشاد .. إن اتبعناها بوعي فسنسلك الطريق الصحيح و اليسير مباشرةً نحو جنان السماء ، إذ سنفهم من خلالها فلسفة الله في الحياة و غايته من أعطيتها خلق الدنيا قبل الآخرة و من خلق البشر فيها أيضاً ..

في الرياضيات متطابقة شهيرة تدعى **متطابقة أويلر** و هي أصغر معادلة تحوي جميع المجموعات العددية الطبيعية و الصحيحة و الحقيقية و التخيلية و المركبة و النسبية و غير النسبية ..

$$e^{i\pi}+1=0$$

و تتكون هذه المتطابقة من الثوابت الخمسة الأكثر أهميةً في الرياضيات:

- العدد صفر **0** ..
- العدد واحد **1** ..
- العدد باي **π** ، و هو عدد غير نسبي مع أرقامه اللانهائية ..
- العدد **e** و هو أيضاً عدد غير نسبي، وهو أساس اللوغارتم الطبيعي ..
- العدد **i**، ويُعرف بأنه الجذر المربع للعدد (**- 1**) ، و هو العدد الأكثر أهميةً بالنسبة للأعداد التخيلية، وسمي كذلك لأنه بالحقيقة لا يوجد أي عددٍ يمكن ضربه بنفسه ليكون الناتج عدداً بإشارةٍ سالبة ..

و هذه التوليفة الجميلة لأهم الثوابت الرياضية في متطابقة واحدة تتطابق مع مضمون مغالطتنا على نحوٍ ظريف ، و ذلك بتوليف أهم ثوابت الحياة في مغالطة وحيدة ، و ربما ساعدتك عزيزي القارئ إن أعطيتها الانتباه و الاهتمام الكافيين كي تخرج من متاهة الحياة الدنيا الشائكة و المعقدة بأيسر طريقة و أقل جهد و تكاليف !! فحظاً موفقاً في مغامرتك الخاصة على كوكب الأرض يا صديقي ..

زيتونة ...

محتوى الكتاب :

- الزيتونة (لا شرقية و لا غربية)
- العالم الآخر (الأكوان الموازية)
- من قبل الكون (حيّ بن يقظان)
- SOS (في البدء كانت البيضة)
- ميتافيرس الروح (نم لقد ولدت ، استيقظ لقد متّ)
- المتوالية الهندسية (أنا و الساعة كهاتين)
- الشفرة الكونية (النسبة الإلهية فاي)
- الكون 25 (الإشباع و بداية الضياع)
- الصيام الفكري (لا قيمة لشيء في متناول اليد)
- أثر الإلكترون (و اطمأنّ قلبي)
- نجوم على الأرض (السديم و التراب)
- GPS الحياة (متطابقة أويلر)